تقدمة الى المكتبة الاسلامية العامة التابعة للجامعة الاميركية . من المؤلف محمد صديق بيروت في ٢٠ حزيران ٩٤٢

محمد نجاتي صديقي

التقاليد الاسلامية و المبادئ النازية

هل تتفقان ؟

بحث علمي اجتماعي سياسي ديني

الطبعة الاولى

١٩٤٠

محمد نجاتي صدقي

التقاليد الاسلامية

و

المبادئ النازية

هل تتفقان ؟

بحث علمي اجتماعي سياسي ديني

الطبعة الاولى

١٩٤٠

الى ابناء الشرق

الذين يقاتلون فى الجبهة الغربية

اقدم كتابى هذا

حكمة بليغة لعبد الرحمن بن خلدون

« اذا تأذن الله بانقراض الملك من امة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها ، فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ، ولا تزال في انتقاص الى ان يخرج الملك من ايديهم ، ويتبدل به سواهم ليكون نعياً عليهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك ، وجعل في ايديهم من الخير . — وإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً » .

— مقدمة المقدمة ص ١٢٥ —

تمهيد

ليست هي الحرب التي دفعتني الى مناصبة النازية العداء ، فكفاحي ضد هتلر يرجع الى زمن بعيد ، الى سنة ١٩٣٣ ، وهي السنة التي استولى فيها « الفوهرر » على زمام قطر كان فيما مضى كعبة لطلاب العلم والحرية .

رأيت في النظام النازي نظام اشقياء سياسيين عرفوا مواطن ضعف الجمهورية الالمانية وضربوها على أم رأسها فخرت صريعة ، ثم اقتحموا المكاتب الكبرى وانتزعوا منها ذخر الفكر البشري واوقدوا فيه النيران انذاراً للحريق العالمي الذي نشاهده اليوم !... ثم شادوا المئات من مراكز الاعتقال وجعلوها زرائب لابناء آدم يذيقونهم فيها العذاب اشكالاً والواناً .

يقول بعضهم : ما لنا نحن الشرقيين واهل الغرب ؟... لندعهم وشأنهم ، ولنقف موقف المتفرج !...

هو قول هزيل ، ينم على قصر النظر وقلة الثقافة ، فليس في العالم اليوم زاوية لا تتأثر بما يحدث في اوربا ، فكيف بالشرق الذي تربطه بالحليفتين روابط جمة ؟...

اما الكتّاب ، والأدباء ، والشعراء ، فما هي واجباتهم اذا لم يكرسوا حياتهم لمحاربة الطغيان في اي زمان ومكان ؟ وهل من طغيان افظع وابشع من الطغيان النازي ؟...

انني لم ابحث المسألة النازية مناصرة لحزب ضد حزب لأنني بعيد كل البعد عن الاحزاب السياسية كافة ، بل بحثتها كمسلم عربي تشرب الروح

الديمقراطية الصحيحة ووقف قلمه على خدمة امته ووطنه .

لقد توخيت في بحثي هذا النزاهـة العلمية المستندة الى الوقائع الثابتة ، والمعلومات الدقيقة ، فما قلت كلمة ضد النازية ، ومـا رميتها بنقيصة الا ذكرت الاسباب الموجبة لذلك .

انني اصدر هذا الكتاب ، الفريد بالعربية ، لا ارضاء لزيد او عمرو من الناس ، بل خدمة للشرق وتوطيداً للعلاقات الروحية والمادية بين المسلمين طرأً وشعبي انكلترا وفرنسا النبيلين .

فلتبلغ الرسالة الانسانية القومية التي يحملها هذا الكتاب بين دفتيه الى مسامع الملايين من المسلمين والشرقيين عامة .

ولتكن خير نبراس ينير امامهم السبيل في هـذه الفترة العصيبة التي يجتازها العالم .

بيروت في اول نوار ١٩٤٠

نجاتي صدقي

الحرب الفكرية

الحرب الفكرية هي جزء مكمل لحرب القتل والتدمير ، هي سلاح ماض يلجأ اليه المتحاربون لاثبات عدل القضية التي حملوا السلاح من اجلها ، وهي وسيلة فعالة يتشبث بها الطرفان المتقاتلان لاكتساب عطف اكبر عدد ممكن من الشعوب والامم .

لكن شتان بين القضية الفكرية التي تدافع عنها الامم الانكليزية ، والفرنسية ، والبولونية ، والتشيكية ، والنروجية ، والدانماركية ، والهولاندية والبلجيكية ، والقضية الفكرية التي يدافع عنها هتلر وزمرة من رجال الاستعمار الالماني .

ففي القضية الاولى دعوة الى حرية الشعوب والتمتع بالاستقلال الطبيعي ، وفي الثانية دعوة الى خنق الحريات وهدم كيان أمم بأسرها باساليب لم يعرف لها التاريخ مثيلا .

واذا كنا نحن اهل الشرق لم نشاطر اوربا بعد في حرب النار فاننا نشاطرها في حرب الاعصاب والافكار ، فالعدو لا يألو جهداً في افساد معنوياتنا ، وسلاحه في ذلك : الراديو ، والدعاة المستترون . اما الراديو الالماني فعلاجه راديو الحلفاء ، والصحف المناصرة . غير ان مكافحة اولئك الدعاة ، وهم شر من الراديو ، تتطلب جهوداً جبارة .

لقد القى غوبلز على عاتق دعاته المستترين في الشرق مهمة خطيرة وهي بلبلة الافكار باختلاق شتى الاكاذيب ، ونشر الاشاعات التي من شأنها

اقلاق الخواطر . ولا ننكر ان الدعاة المومى اليهم موفقون في مهمتهم ، فقد تمكنوا من التأثير على السذج من النـاس وعلى افراد مثقفين كانوا لسنوات خلت من ألد اعداء النازية . وللدعاة المتبرين طرق عديدة في تعميم الفوضى الفكرية المشربة بالروح النازية ، وها نحن نجمل بعضها في ما يلي :

اولاً — يقولون : ما الفائدة من وجود امم كثيرة في القارة الاوربية ؟ أليس من الأفضل وضعها تحت سيطرة شخصين هما هتلر وستالين ؟ . .

فالمرء الذي يعطف على الفكرة الاشتراكية لأمر ما قد ينشرح خاطره لسماع هذه الحجة وقد يعتقد بصحتها ، فيتفق مع الداعيـة النازي، وهكذا يصبح بدوره محرضاً نازياً ، وهي اول خطوة تجر الخيانة والجاسوسية .

ثانياً — يقولون : ان « اشتراكية » هتلر صحيحة ، وان ستالين هو الرجل العبقري الذي رأى في هتلر حامل لواء « تحرر » العالم . . . فتعاقدا على الخير والشر ، فيتقبل بعض « المتعلمين » هذه النظرية بكل ارتياح ، ويأخـذون بنشرها ولا ضحية لهم بحكمتهم .

ثالثاً — يقولون : ان العناية الالهية ارسلت هتلر ليهدم الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية ، وليخلق للعرب امبراطورية كبرى (كذا) فيستمرىء بعض « المتعلمين » هذا الحلم ويحاولون اقناع انفسهم بان ذلك ليس على هتلر بعزيز ! . . وانه يعمل ذلك لوجه الله . . وليس لغاية استعمارية فظيعة .

وللدعاة النازيين المتبرين اساليب اخرى منها قولهم ان هتلر « نبي »لانه يكتسح الممالك الواحدة إثر الاخرى دون ان يجد من يصده ! ومنها ادعاؤهم كذباً ان الحلفاء لا حول لهم ولا قوة، وانهم شنقوا عشرين رجلا في فلسطين، ومثلهم في سوريا ، ومثلهم في الهند ، الخ . . وغير ذلك من الترهات .

وهكذا فان اذناب هتلر المتسترين لا يتركون وسيلة الا اتبعوها لترويج الدعاية لجلاد اوربا، وقد نفذت دعايتهم هذه الى اوساط الاميين وتعدتهـا الى صفوف المتعلمين ، وكثيراً ما تجد بائع الحمص يشاطر دكتور الجامعة الرأي في مهمة هتلر ، وهي حالة شاذة يستوي فيها الجهل مع العلم ، والظـلام مع النور .

ان هذه الحرب الفكرية التي اعلنها النازيون في شرقنا تحمل في طياتهـا السم الفتاك، وتشكل خطراً مريعاً يجب تداركه منذ الآن لئلا يتسع الخرق ويتعذر الرتق على الراتق . ويقيني ان من جملة التدابير الناجعة في سحق الدعاية الهتلرية المتسترة انارة الرأي العام المسلم عن مهام هتلر الحقيقية ، وعن ممارضة التقاليد الاسلامية السامية المبادىء النازية الهدامة .

لماذا يكافح المسلم النازية ؟

ليست النازية خطراً على شعوب اوربا وعلى الديمقراطية الاوربية فحسب ، انما هي خطر محيق ايضاً على الممالك الاسلامية وعلى روح الاسلام الحنيف . فالمسلم المدرك ، المشرب بتعاليم القرآن الكريم وبالاحاديث النبوية الشريفة ، والمطلع على التاريخ الاسلامي منذ بزوغ فجر الاسلام حتى يومنا هذا ، لا يسعه الا ان يكون من الد اعداء المبادئ النازية الهدامة وانظمتها البربرية التي ربما تنفع الوحوش الضواري لكنها تؤذي البشر في تفكيرهم ، وفي مصالحهم ، ومطامحهم .

فمبادئ الاسلام تدفع بمعتنقها الى التقدم لا الى التأخر ، تدعوه لأن يسير مع الجماعات البشرية المتجهة نحو المدنية الشاملة ، نحو سعادة البشر وتآخيهم ، لا ان يرجع القهقرى مع جماعات فوضوية ، مريضة في عقيدتها ، وموبوءة في طرق تفكيرها ، هزيلة في نظامها الاجتماعي ، كالجماعات التي « فبركها » ادولف هتلر وزبانيته .

فاتباع الائمة الاربعة يكرهون بطبيعة الحال كل بدعة تطعن روحهم الاسلامية في الصميم ولا سيا البدعة النازية بدعة تصنيف البشر على درجات ، وعلى انواع خاصة من الدماء .

والمسلم الحقيقي لا يحاول ان يجد مبرراً للحركة النازية المدمرة لأحسن ما انتجه الفكر البشري ، لا في معاهدة فرسايل ، ولا في حاجة الريخ الى «مساحة حيوية» ، ولا في «الاشتراكية» الملتصقة بالوطنية التصاق الطين بالعجين !

لا جدل بان روح الاسلام تتعارض كل المعارضة والمبادىء النازية ؛ تتعارض في كل شيء : في انظمة الدولة ، والاجتماع ، والعائلة ، والاقتصاد، والتعليم ، والحرية الشخصية .

ثم ان تعاليم نبينا العربي واحاديثه الشريفة دعت المسلمين خلال العصور السالفة ان يكونوا سداً في وجه الطغيان ، والجبروت ، والوثنية ، وامرتهم ان يستأصلوا شأفتها حتى وان بدت في شخص خلفاء الاسلام . وهذه التعاليم نفسها تدعوهم اليوم لان يكونوا على حذر من حركة وثنية جديدة متشحة بوشاح التعصب والطغيان تحاول بسط نفوذها على اوربا ثم تنحدر الى الشرق فتقوض ما تبقى لديه من مبادىء انسانية سامية .

حقاً ان روح الاسلام لأسمى من ان تقارن بالنازية وليدة التفسخ الروحي والمادي الالماني ، ولكن عصرنا هذا يتطلب منا ان نكافح كل فكرة ، محلية كانت ام اجنبية ، بمقدرتها ان تزعزع ايماننا في الحياة وتجعلنا آلات صماء تدار دون ان يكون لها رادع او وازع . فاستنادنا على تعاليمنا الاسلامية في مكافحة المبادىء النازية هو واجب محتم علينا ، عمل به اسلافنا في القرون الغابرة في دك معالم الامبراطورية الرومانية ، والمملكة الفارسية ، والفرعونية المصرية، والتترية المكتسحة ، حتى تأسيس الواحة الغناء في صحراء اسبانيا ، وسنعمل به اليوم في صد جحافل الوثنية النازية ومبادئها الشريرة .

مقارنة بين مبدأين

يقول البند الرابع من البرنامج الهتلري :

« لا يتمتع بالحقوق المدنية الا من كانت تجري في عروقه الدماء الآرية الالمانية بلا ادنى ريبة او اشتراك قديم مع دماء اخرى » .

فاين هذه النظرية النازية من الاسلام ؟

الاسلام ليس عبادة وادباً فقط بل هو شريعة وسياسة ومعاملات .

روح الاسلام تأخذ بيد الضعيف من عسف القوي وظلمه ، وتؤاخي الفريقين ، وتساوي القومين بجميع الحقوق المدنيـة ، فلا فارق بين ضعيف وقوي ، وفقير وغني ، الا بما منحه الله من ذكاء الفطرة والعـلم ، والتقوى ، والعمل الصالح ، كما جاء في القرآن الكريم :

« إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ »

وكما قال النبي العربي : « لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » و « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم اليه انفعهم لعياله » .

العرقية النازية تفضل الآري على غيره ، وتشفع بانصارها اذا هم اقترفوا الجرائم ، ولكن روح الاسلام تضع الجميع في كفة واحدة فلا تفرق بين مسلم وغير مسلم .

جاء اسامة بن زيد يشفع في شخص ليسقط عنه حد السرقة، فغضب الرسول لذلك وقال له :

« أتشفع في حد من حدود الله ؟ . . والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ! » .

العرقية النازية تدعو الى اطاعـة الزعيم اطاعة عمياء وتقول بالجور في معاملة الناس ، في حين ان روح الاسلام تأمر بالعدل وكل ما فيه السعادة في الدارين .

خطب مرة الخليفة ابو بكر رضي الله عنه فقال :

« ايها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم . فان رأيتموني عـلى

حق فاعينوني ، وان رأيتموني على باطل فسددوني . اطيعوني ما اطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم . ألا ان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، واضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه . اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم . » فالنازية تأخذ بيد الاقوياء ، وتسحق الضعفاء ، وتهضم حقوق رعاياها وغير رعاياها في النمسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولونيا اما روح الاسلام فتحفظ لكل انسان الحرية الشخصية ، فهي تقول :

« لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ »

اي ان لكل انسان ان يؤمن بالمذهب الذي يريده ، بينما المبادىء النازية ترغم رعاياها على ان يذعنوا لفكرة واحدة ولزعيم واحد ! ثم ان روح الاسلام تأمر بالعدل ، وتنهى عن المنكر ، فقد جاء في القرآن الكريم :

« يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِٱلْقِسْطِ (بالعدل) وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ (لا يحملنكم) شَنَآنُ قَوْمٍ (بغضهم) عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ، إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ، وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ »

اما المبادىء النازية فتقول ببغض الاقوام والطوائف وتأمر بطاردتهما ، جوراً وعدواناً . والتاريخ الهتلري حافل بالامثلة الدامية . ويقول القرآن الكريم ايضاً :

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ »

بينما المبادىء النازية تجعل الاقوام درجات درجات وتأمر الآريين بأن يسخروا من جميع الاقوام الاخرى ، باعتبارهـا احط منهم نفساً ، وخلقاً ، وتكويناً .

النازية خالية من كل ناحية روحية شريفة . النازية مجموعة مصالح مادية وقتية تنهار مـع مرور الايام ، في حين ان روح الاسلام سرمدية سيبقى مفعولها سارياً ما بقي الانسان في حيز الوجود .

المعنويات الاسلامية والعقلية النازية

ولدى المسلمين ، عدا القرآن الكريم ، احاديث شريفة فاه بها منقذهم الاول النبي العربي في مختلف الظروف ، وهي دستور حياتهم الاجتماعية والعائلية ، ومرجع معنوياتهم .

والقاء نظرة على بعض هذه الاحاديث فيه الكفاية للاقتناع بتنافيها مع العقلية النازية .

تقول الاحاديث الشريفة :

« من غش فليس منا » .

« من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله » .

« اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك » .

« ترك الشر صدقة » .

« ثلاث من كن فيه فهو منافق : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان » .

« الظلم ظلمات يوم القيامة » .

« الغادر ينصب له لواء يوم القيامة » .

« فكوا العاني ، واجيبوا الداعي ، واطعموا الجائع ، وعودوا المريض » .

« قل الحق وان كان مراً » .

« كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثاً هو لك به مصدق وانت له بــه مكذب » .

« لقد شقيت ان لم اعدل »

فجميع احاديث النبي العربي تجد عكسها في مبادىء النظام النازي وتعاليمه المريضة .

***

من كان ينتظر ان تحل ساعة يظهر بها رجل اسمه هتلر ويأمر باحراق ترجمات ابن رشد وابن خلدون في ساحات برلين مع مؤلفات هاينه ، وشللر ، وماركس ، وفولتير، وجان جاك روسو وغيرهم من عظماء الفكر الانساني ؟ .

اجل ، ان المبادىء النازية عدو للاسلام القوي ، المتسامح ، الشوري .

الاسلام ثورة والنازية عصيانه

« هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم »

– حديث شريف –

ان التعاليم التي يبشر بها هتلر ، وروزنبرغ ، وغوبلز ، وشركاؤهم هي تعاليم مظلمة ، تنقل معتنقيها روحياً الى حياة القرون الغابرة ، الى حياة الهمجية الاجتماعية التي ثار عليها الاسلام منذ البدء . ولاقى المسلمون الاولون من اجل مكافحتها صنوف العذاب والاضطهاد .

ان قواعد الاسلام الخلقية السامية مبينة في القرآن الكريم ، وقد شرحها العلماء من جميع الامم بلغات كثيرة ، ولكن عظمتها وسموها لم تبينا باكثر بلاغة مما بينه الصحابة الذين التجأوا الى ملك الحبشة (النجاشي) يطلبون حمايتهم من اذى قريش ، فقالوا له :

« ايها الملك – كنا قوماً اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا ، وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه ، فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ، أمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به » .

لقد اجمل المضطهدون المسلمون الاولون في هذا القول جوهر التعاليم الاسلامية التي آمنوا بها ، وهي امري زبدة المثل العليا التي يرمي اليها الانسان من اي جنس ودين كان .

فالمسلم المدرك لكل التعاليم التي يأمر بها نبيه وقرآنه محمد بن عبد الله لا يمكنه في اية حال من الاحوال ان يدع النظريات الهتلارية الهدامة تتسرب الى عقله ونفسه .

لقد ثار المسلمون الاولون على الذين كانوا يأتون الفواحش ويهضمون حقوق الضعفاء من اهل الجاهلية ، واستعملوا السيف في تصفية انظمة الاستبداد والوثنية ، فلا يعقل اذاً ان يأتي احفادهم ويستحسنوا نظاماً فاسداً كالنظام الذي دكه السلف الصالح في مكة المكرمة ويقرب قبل ١٣٥٩ سنة .

الاسلام ثورة قومية اجتماعية نهضت بالعرب من وهدة الجهل والتأخر وفتحت امامهم آفاقاً من التقدم والتطور .

والنازية عصيان على النظام الحر الشرعي الذي وطد الشعب الالماني اركانه في عهد دستور ويمار لسنة ١٩١٨ .

الاسلام سنة ضرورية تاريخية في حياة الامة العربية والشعوب الاسلامية .

والنازية عاهة فرضت على المانيا فرضاً ومبعثها الشره في هضم حقوق الضعفاء من الالمان وغير الالمان .

ذكرنا آنفاً رسالة اللاجئين من حملة لواء الاسلام الى ملك الحبشة وقد عرضوا فيها سبب اعتناقهم الدين الاسلامي ، وها نحن نذكر الاسباب التي دعت مئات الالوف من المهاجرين الالمان الى الفرار من المانيا والالتجاء الى الممالك الديمقراطية .

قال البروفسور الالماني الذائع الصيت توماس مان في رسالة وجهها الى عميد كلية (بون) رداً على قرار الكلية بتجريده من لقب الدكتوراه :

« لقد قضيت اربع سنوات في منفى لا ادعوه اختيارياً ، لانني لو بقيت في المانيا ، او حاولت العودة اليها ، لما كنت اليوم حياً على الارجح .

« لقد تحديت غضب هؤلاء الطغاة بابتعادي واظهار نفوري واشمئزازي اللذين لم استطع كبحهما . وهل يصمت امام الخطر الكبير الذي يجابه القارة كلها من جراء هذا النظام الهادم للروح ، الذي يسير في جهل مطبق للسياسة التاريخية التي يشهدها العالم اليوم ؟ . . . لم يكن الصمت عندي ممكناً وقد ادى ذلك الى عمل سخيف يرثى له وهو تجريدي من جنسيتي . ان مجرد معرفة الافراد الذين يتمتعون بهذه السلطة الحقيرة ، والذين نزعوا عني المانيتي لكاف ان يظهر سخافة عملهم هذا »

النازية هادمة للروح . هذه هي شهادة البروفسور مان الالماني الاصل والمسيحي المذهب .

ومعنى هدم الروح هنا : الروح الشاملة التي تتضمنها الديانات ، والعلم البشري ، واحوال الناس الشخصية .

فلماذا تحارب الوثنية النازية الديانات ؟

لان الديانات مهما تباينت فهي تتضمن آداباً تتنافى مع النازية مثل : الرحمة ، والمحبة ، والاخاء ، وتحريم القتل ، والسرقة ، والاعتداء ، والكذب الخ . .

ولهذا السبب يقول النازيون ان العقيدة المسيحية هي عقلية يهودية رومية من مبتكرات سكان البحر الابيض المتوسط لا تلتئم ابداً مع العقلية الجرمانية الشمالية .

وبعد ان قدح (العالم !) النازي الفريد روزنبرغ زناد افكاره خرج بديانة المانية جديـدة خلاصتها : ان الايمان الالماني مستمد من الروحية الجرمانية المكتسحة ، وان العرقية الالمانية مستمدة من آلهة الجرمان الخالدة .

وقـد اخذ النازيون المتعصبون يقومون فعلاً باجراء الطقوس الوثنية ، فيصعدون الى قمم الجبال المقدسة ويشعلون النيران ، ويـدقون الطبول ويلبسون الطاقيات ذوات القرون ، بينما الفتيات المنتخبات يرقصن حول النيران وشعرهن الاشقر مسترسل على اكتافهن ، ويهزجن اهازيج لا تخلو من ذكر الفوهرر بين الفينة والفينة .

الوثنية النازية وحدها كافية لجعل الالمان الاحرار يتركون ديارهم هاربين مشتتين في مشارق الارض ومغاربها .

ان عدم الروح هو اول ما تدعو اليه تعاليم روزنبرغ وهوخ وامثالها من المتهوسين النازيين . والمسلم لا يستكين لمثل تلك التعاليم الهدامة لان اسلامه ركن حياته الروحية والمادية ، بل ان الاسلام كما قال اللورد كرومر في كتابه « مصر الحديثة » يذوب فيه الايمان الى درجة قصوى عن الوطنية في البلاد الشرقية .

ويدعم هذا الرأي ما جاء في بعض الآثار : « حب الوطن من الايمان » . اي ان الاسلام عقيدة دينية ، ودعوة الى حب الوطن ، وهو الشرط الاول في مدلول الوطنية .

ففي كل ما ذكرناه منشأ نفور ملايين المسلمين من النازية واستنكارهم اياها ، واستعدادهم لمحاربتها بمثل تلك الحرارة التي حارب بها المسلمون الاولون الجاهليين من قريش .

الاسلام والوفاء

« لا ايمان لمن لا امانة له ، ولا دين لمن لا عهد له »

– حديث شريف –

قد امر الاسلام على المسلمين في جميع ادوار التاريخ ان يكونوا امناء لوعودهم ، ثابتين على عهودهم ، وشدد النبي العربي بصورة خاصة في دعوة المسلمين الى التمسك بهذا المبدأ السامي حيث قال في حديث شريف « لا ايمان لمن لا امانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ؛ اي ان الانسان الذي لا يتمتع بقوة روحية تدفعه للقيام بواجباته وتعهداته نحو الناس والشعوب ما هو في الواقع الا عبد مصالح مادية بهيمية محروم كل فضيلة انسانية .

ينظر المسلمون شزراً الى انتهاك النازيين حرمة الوعود والعهود ، ويرون في عمل الالمان هذا اعتداء شائناً ليس على الشعوب الرازحة تحت النير الهتلري فحسب بل وعلى اسمى مبدأ من مبادئهم الاسلامية .

قال الحديث الشريف : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » اي ليس بمسلم حقاً من يؤذي احـداً من المخلوقات ، ويدخل في ذلك الذميون والمعاهدون ومن هم في امانة المسلمين ، فايذاؤهم وايذاء المسلم سواء لان لهم ما لنا وعليهم ما علينا - قال النبي العربي : « من آذى ذمياً فانا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة » . وقال ايضاً : « من آذى ذمياً فقد آذاني » .

ومن يتبحر في درس التاريخ الاسلامي يجد ان المسلمين كانوا دائماً امناء

لهذا المبدأ الانساني .

روى التاريخ ان عمير بن سعد الانصاري قدم على عمر بن الخطاب وقال له : « ان بيننا وبين الروم مدينة يقال لها « عربسوس » وان اهلها يخبرون عدونا بعوراتنا ولا يظهروننا على عورات عدونا ، ولهم علينا عهد ، واستشارة في امرهم » فقال عمر : « اذا قدمت فخيرهم ان تعطيهم مكان كل شاة شاتين ، مكان كل بقرة بقرتين ، ومكان كل شيء شيئين ، فان رضوا فاعطهم اياه وابعدهم عن البلاد ، وان ابوا فانبذ اليهم وحاربهم » .

وقال الرسول يوماً : « اذا فتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيراً فان لكم منهم صهراً وذمة » .

ولعل وصية ابي بكر للقائد العربي اسامة بن زيد حين انفذه لفتح الشام فيها من الآداب الحربية ما لا يمكن ان تجده في المانيا « المتمدنة » الحالية . وقد جاء في الوصية ما يلي :

« لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً الا للأكل ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا اليه » .

اما الطغاة النازيون فماذا فعلوا في بولونيا ؟ . . .

لنأخذ الجواب عن هذا السؤال من حديث لاحد المهاجرين البولونيين الذين مروا ببلادنا ، وهو طالب في جامعة فرصوفيا ، قضى عليه هتلر بالتشرد بعد ان فقد ابويه واصبح بيته ركاماً ينعق فيه البوم :

— هل القى الالمان عليكم قنابل الغازات السامة ؟ . . .

— لا ... لكنهم القوا على جنودنا لفائف تبغ! ...

— ماذا ؟! ...

— اجل، لفائف تبغ مسمومة، وانتم تعلمون ان الجندي في الجيش يتمنى الحصول على « سيكارة » واذا ما وجدها التقطها بلهفة ودخنها غير مبال بالعواقب. وبعد ثوان من التدخين يشعر باختناق شديد، فتنقطع انفاسه، ويفقد الرشد، ثم يفقد الحياة.

« وكانوا يلقون على جنودنا القنابل المحشوة بالبراغيث المشربة بالمواد السامة، فتتحطم على الارض وتقفز منها ملايين البراغيث، وتتعلق بأجسام المحاربين وتلسعهم لسعاً حاداً، فيشعر الملسوع برغبة شديدة بالحكاك، ثم يصاب بحمى سريعة، وبعد ٢٤ ساعة تصعد روحه الى بارئها تشكو جور النازيين وقساوتهم ».

ويضاف الى تصريح المهاجر البولوني هذا ما عرفه القاصي والداني من ان الالمان هدموا فرصوفيا على رؤوس سكانها وحصدوا الفرصوفيين الآمنين برشاشاتهم حصداً، واستباحوا حرمة الكنائس والجوامع والبيوت، ولم يسلم من وسائلهم الجهنمية طفل ولا امرأة ولا شيخ طاعن في السن. وقد بلغت القحة بقائد الجيوش الالمانية ان يخاطب الضباط البولونيين الذين قدموا اليه تسليم العاصمة بقوله « آمل ان لا تكون المدينة قد تهدمت بأسرها !» .

وكذا الحال مع الاقليات التي دخلت في « ذمة » الالمان، فقد طردت من المدن الكبيرة وانتزعت منها منازلها وامتعتها، وهي تهيم الان على وجهها تفترش الغبراء، وتلتحف السماء.

وقد طبق النازي في البلاد التي احتلوها نوعاً جديداً من الرق الابيض،

فهم يشحنون البولونيين والتشيك بتات الانوف الى داخلية المانيـا حيث يستثمرون في الاعمال الصناعية والحربية بلا مقابل .

ولنقارن بين سلوك السفاح هتلر في البلاد السلافيـة المحتلة وبين سلوك خليفة المؤمنين عمر بن الخطاب عندما احتل مدينة ايلياء (القدس) في القرن السادس الميلادي .

لقد ارسل الخليفة قبيل دخوله القدس كتاباً لأهلها هو في الواقع طلب استئذان بدخول المدينة ، ووعد صريح بعدم مس سكانهـا بسوء ، وقد نفذ وعده !

واليكم نص الكتاب :

هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان : اعطاهم اماناً لانفسهم واموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم سقيها وبريئها ، وسائر ملتها ، انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزهـا ، ولا من صليبهم ولا من شيء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم . وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها الرومان واللصوص ، فمن خرج فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع الى اهله ، فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم .

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين شهد بذلك : خالد بن الوليد ، عمرو بن العاص ، عبد الرحمن بن عوف ، معاوية بن ابي سفيان ـ كتب سنة ١٥ هجرية

وسلوك امير المؤمنين عمر بن الخطاب هـذا مستمد من صميم الآداب الحربية الاسلامية ، وقد نفذ وعوده لاهل ايليا، بحذافيرها . ونذكر على سبيل المثال ان الخليفة اخذ يتجول في احياء القدس زائراً آثارها، فأدى به التطواف الى ولوج كنيسة القيامة ، وقد صادف دخوله فيها وقتاً من اوقات الصلاة، فعرض عليه البطاركة ان يصلي حيث هو فرفض قائلا : « ان صليت هنا سيقتفي اثري المسلمون !...» وابتعد عن الكنيسة خمسين متراً وصلى . ويقوم اليوم في ذلك المكان جامع سمي بالجامع العمري .

وهكذا نرى ان الاسلام لا يربي عاطفة الكره، وحب الانتقام في نفوس متبعيه كما هي الحال مع النازية ، بل هو يأمرهم بالمسالمة والموادعة ، وان يكونوا اوفياء لعهودهم ، امناء لجيرانهم من الاقوام والطوائف .

وخلاصة القول ان الاسلام يستقبح النازية ليس من ناحية علاقة الانسان بالله وباخيه الانسان فحسب ، بل من الناحية الحربية ايضاً . فتاريخ الفتوحات الاسلامية يشهد بان المسلمين كانوا دعاة عدل اجتماعي وانقاذ وطني ، في كل ارض وطئوها . وما مبعث ذلك الا انهم دعوا الى تأدية رسالة تاريخية معينة .

اما تاريخ الفتح النازي فهو عار على البشرية والطخة في جبينها ، فاينما حل النازيون فهناك الظلم ، والخراب ، والدمار ، وما مبعث ذلك الا ان هتلر دعاهم — والتاريخ براء منه — الى تأدية رسالة شيطانية مماثلة « لرسالة » الفندال والتتر في القرون الغابرة .

مبدأ العنف في الاسلام وفي النازية

« وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ »

– آية كريمة –

نعرف عدداً لا يستهان به من الادباء والمفكرين الذين يتيهون في بيداء الوهم والخطأ اذا ما القوا نظرة سطحية على تعاليم الاسلام ومبادىء النازية فيخيل اليهم ان ثمة شبهاً في الحركتين تتمثل في نشر الدعوة بالعنف وبحد السيف .

ومما يؤسف له أن بين من ضل السبيل في هذا الشأن اديباً كبيراً قال لي يوماً : « ان هايل هتلر » لا تقل تأثيراً على الالمان من « الله اكبر » على المسلمين ! . . .

فأدركت في الحال انه يلمح الى مبدأ العنف « المشترك » والى ان الاسلوب التطبيقي في الاسلام يماثل اسلوب الاكتساح الشامل الذي تنتهجه النازية ، وهذا ما حدا بي الى طرق موضوع « العنف » وتفنيده بالاستناد الى نصوص القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة ، والتاريخ العام .

. . من ديانة ظهرت في التاريخ الا كان مبعثها الثورة على الظلم والاضطهاد : فاليهودية ثورة على الفراعنة ، والمسيحية ثورة على الجور الروماني ، والاسلام ثورة على الجاهلية . وما من ديانة عملت على نشر مبادىء الحق والحب والمساواة الا استعملت العنف والقوة ، ولو لم تفعل ذلك واستكانت للوثنيين

لأصبح مصيرها معلقاً بيد القدر .

يقول القرآن الكريم :

« وَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ، حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ ، فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً » .

وهذه الآية واردة بحق المشركين الذين كانوا يترقبون الاذى المسلمين ، ويهيجون عليهم القبائل ليوقعوا بهم ، حتى انهم مثلوا على مسارح الجور والعداء روايات تبكي القلوب القاسية ، وتنفر من فظاعتها الوحوش الضارية .

ويقول القرآن الكريم ايضاً :

« لَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ، إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ » .

وخلاصة ما تأمر به الآية الشريفة موالاة من لم يبدوا الى المسلمين بسد الاذى والعدوان ، والبر بهم والاحسان اليهم ، وان لا يوالوا من يبغي اضطهادهم ، ويرمي الى اذلالهم ، ويسعى الى اخراجهم من ديارهم ، بل يجب عليهم الدفاع عن حوزتهم حتى لا يتقلص ظلهم ، ويقوض بناء دينهم ومجدهم .

ان حكم القتال في القرآن وجّه بادىء ذي بدء ضد المشركين الذين جاهروا المسلمين العداوة ، ونصبوا لهم الشر ، واحبوا ان تبقى العلاقــات الاجتماعية بين العرب فوضى ، قائمة على نظام « السيد والعبد » بحيث ينهش القوي لحم الضعيف ويستثمر جهوده الجسمانية بضرب السياط .

جاء الاسلام معلناً حرباً لا هوادة فيها على نظام الرق الجاهلي . فهبت قريش ، سيدة العبيد ، تطارد بــدورها المسلمين وتعذبهم بالضرب ، وبقلع الاظفار ، وسمل الاعين ، وتعمل فيهم تقتيلا وتفظيعاً الى ان تغلب الحق على الباطل ، وكان الباطل زهوقاً .

× فالعنف في الاسلام مرجعه نضال العرب الاجتماعي للتخلص من العقائد الوثنية الهمجية ، ولكسر شوكة المثرين من تجار قريش وارغامهم عــلى مساعدة البائسين ، ولتوحيد القبائل العربية ودمجها ، واخضاعها للنواميس المدنية ، ولرفــع مستوى « الملأ » ؛ أي عامة الشعب من صناع ومزارعين وبدو رحل .

تمسك الجاهليون بتقاليدهم البربرية مثل وأد البنات خوفاً من الفقر ، وعبادة الاشجار والتماثيل والنيران ، والانغماس في الموبقات والفواحش ، حتى جاءهم الاسلام فأخرجهم من الظلمات الى النور بالترغيب والترهيب .

ذكر الشيخ محمد عبده في كتابه «الاسلام والرد على منتقديه » في الصفحة ١٣١ ما يلي :

« الا تنظر الى حالة العرب من الخشونة والجهالة والهمجية قبل اشراق الاسلام عليهم ثم الى مصيرهم بعده ؟ ... ان الرجل منهم في الجاهلية كان يذهب بابنته الى الفلاة وهي على ذراعه فيحفر لهــا حفرة وهي تنظر اليه

وتحنو بفؤادها عليه ، فلا يجد في نفسه فؤاداً يحن عليها ، وكان يدفنها حية بيديه ثم يذهب الى اهله فرحاً مسروراً كأنه لم يفعل الا ما يستحق حسن السمعة ويغسل عنه وضر الشنعة . تدبر بعيشك الى هذه القلوب القاسية والاحساسات العاتية ثم انظر اليهم بعد اعتناقهم الاسلام » .

وليس ما اتى الشيخ محمد عبده على ذكره سوى مثل يبرز العنف الاسلامي ضد الوثنيين الذين سادوا جزيرة العرب في قديم الزمان .

لقد كان الوثنيون كثيراً ما يؤذون النبي العربي وانصاره حتى أنهم ائتمروا على حياته ليلة اراد الهجرة الى المدينة . ولما اخفقوا جعلوا لمن يأتي به قتيلاً أو أسيراً جائزة وافرة ، ولم يكن الاذى قاصراً عليه بل تناول اصحابه أيضاً ، وكان هؤلاء يأتون الرسول وهم بين مضروب ومجروح ، ومشجوج الرأس ، يتظلمون اليه من فعل المشركين بهم ، فيقول لهم :

— اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال ! . . .

وبعد ثلاث عشرة سنة من نضال محمد بن عبد الله ضد الرجعية الجاهلية امر اتباعه بمقاومة الاعداء حتى يكسروا حدتهم ، ويردوهم عن طغيانهم وعسفهم ، فقال :

« أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » .

وكانت المعارك الفاصلة بين الاسلام والوثنية التي انتهت بانتصار المسلمين وبعث الامة العربية .

وهكذا نرى ان الدعوة الى العنف في الاسلام موجهة تاريخياً ضد الجاهليين الذين كانوا عقبة في سبيل تقدم العرب .

اما في ما يتعلق بالفتح الاسلامي فليس من انسان مثقف يستطيع انكار ما جلبه من فوائد للجنس البشري إن في الشرق او في الغرب .

ذكر الحكيم جمال الدين الافغاني في كتابه « خاطراتي » ص ١٥٩ بهذا الصدد ما يلي :

« ثم اذا اخذنا ما تجمع للخليفة الاول ابي بكر وللخليفة الثاني عمر الفاروق من الجيوش وما بعثوه من المجاهدين ، وعلمنا ان مجموع الجيوش الاسلامية في المهدين (لم يتجاوز الاربعين الفاً) وقسنا ما دخل من الممالك في حوزة المسلمين ، ومن دان بالاسلام – من قطر الشام، وفلسطين ، فحلب ، فالعراقين ، فمصر ، وممالك الفرس وغيرهم الى جدران الصين – تبين وتحقق لنا ان عمل الجهاد بالسيف لم يكن ليذكر في جانب الدعوة بالحكمة ، والاخذ بالعدل المطلق ، والمثال الحسن ، والقدوة الصالحة ، وما فتح من البلدان والامصار صلحاً اكثر بكثير مما فتح عنوة وحرباً . »

اما النازية فما هو هدفها من استعمال العنف ? . .

النازية لم تحاول لتؤدي رسالة حضارية او ادبية او اجتماعية ، وكل ما هنالك ان زمرة من رواد مقاهي البيرة في مونيخ اتفقت مع بعض العسكريين المتقاعدين على « انقاذ » المانيا باحراق الاخضر واليابس ، فتآمروا ، واستولوا على زمام الحكم ، وانتهكوا حرمة الدستور ، وبطشوا بكل من ابى مماشاتهم ، ونزلوا بمعاولهم على صرح العلم والمدنية فحطموه ، ولما رأوا انه لم يبق امامهم من يتسلون بتعذيبه اخذوا يطاردون المؤمنين من الكاثوليك الالمان .

وعدَ رجال النازي ان حركتهم الهدامة لن تتعدى حدود المانيا . وماهي عشية وضحاها حتى رأيناهم ينكثون بهذا الوعد ، ويستعملون العنف مع من

جاورهم من الشعوب الصغيرة .

وما هي غايتهم من ذلك ؟

ان غاية النازي من استعمال العنف في النمسا هي الحصول على الالبان واللحوم . وفي تشيكوسلوفاكيا القضاء على الصناعة التشيكية التي تزاحمهم والحصول على بعض المواد الخام . وفي بولونيا الحصول على الحنطة والاخشاب والنفط .

يضاف الى ذلك كله ان النازيين يطمحون الى « مثل اعلى » وهو العودة بالناس الى نظام المعيشة التي سادت اوربا قبل الفتح الاسلامي في الاندلس .

فمن هذه المقارنة يتضح لنا ان العنف في الاسلام مرجعه البعث الروحي والعمراني ، وان العنف في النازية مرجعه الشراهة المادية وعرقلة دولاب التاريخ .

وشتان بين العنفين !

لا عرقية في الاسلام

النازية « ديانة » جديدة لها تعاليمها ، وطقوسها ، وتشكيلاتها ، كما ان لها فلسفة خاصة بها تجمل الانسان الذي يقرّ بانانيته ، يحتقر نفسه ويستصغرها ، ويرى في الحيوان مخلوقاً ارقى منه لانه وان لم يتمتع بالادراك فهو يتمتع بغريزة الحنان على اقرانه من انواع الحيوان .

يقول الفريد روزنبرغ ، وهو رأس النازية « المفكر » ، ان الآريين قوم عاشوا قبل التاريخ في قارة تدعى الاطلانطيد(*) وكانوا وقتئذ سعداء انقياء الدم ، يمتازون بعرقية حيوية فريدة في بابها .

---

* الاطلانطيد اسطورة من الاساطير كانت لمدة من الزمن هدفاً للكتاب الغربيين الفنانين يصورها كل منهم كيفما اوحت اليه مخيلته فتخرج من بين ايديهم تحفة خيالية يطالعها المرء بتشوق زائد .

وقد صور احد هؤلاء الكتاب الاطلانطيد جزيرة واسعة الاطراف ، سكنها شعب وثني الكنه على درجة عالية من الرقي . ولما كانت وسائل الترف كثيرة فقد انغمس الاطلانطيديون في حمأة الفسق والخلاعة ما ادى الى انحطاط اخلاقهم واسخط عليهم آلهة البحر التي حكمت عليهم بالموت غرقاً .

وهكذا اخذت الامواج تطبق على الاطلانطيد من جميع اطرافها فتغمرها شيئاً فشيئاً والسكان يرون الموت يقترب منهم فيستغيثون وما من مغيث .

وكان في الاطلانطيد رجل حكيم لم يسره انحطاط شعبه وفساده وتوقع له الهلاك غرقاً ، فاحب ان يشاهد كيفية غرق الاطلانطيد لكي يدون خواطره للتاريخ فبنى لنفسه برجاً من زجاج سكنه الى ان انتهت حياة الجزيرة . وعن لسانه رويت هذه الحكاية ! . . .

وكانت الاطلانطيدهذه، الفردوس الارضي للآريين « سادة « الشعوب، ففيها عاش الآريون «معيشة تعاونية ، يعبدون الآله « طوطـان » ويفلحون الارض ويعلمون اولادهم الحكمة !

ولما تكاثر عدد الآريين في الاطلانطيد اضطروا الى « اكتشاف » قارات اخرى هاجروا اليها وهم يحملون رسالة جديدة لعبقرية جديدة كان من نتائجها ظهور السيد المسيح ، وميكائيل انجلو ، وجان دارك ، وواغنر ، وكريستوف كولومبس وغيرهم ! .

الا ان اختلاط الآريين بالشعوب الخارجة عن قارة الاطلانطيد اسفر عن تضعضع الجنس الآري وامتزاج دمه النقي بدمـاء رجسة ، وفقدان رسالة السيادة الآرية العالمية .

وبعد ان تعاقبت العصور على البشرية شعر بعض الالمان سنة ١٩٢٣ بان العالم سيضمحل حتماً ان لم يسرع الآريون الى احياء مدنية الاطلانطيد الغابرة.

فظهر كتاب « خرافة القرن العشرين » لمؤلفه الفريـد روزنبرغ الذي شرح فيه تاريخ الشعب الآري قبل التاريخ وأوجز العقائد الفلسفية الثلاث الكبرى التي يؤمن بها افراد حزب النازي ابتداء من الفوهرر حتى ابسط عضو من اعضاء فرق الحرس وفرق الهجوم .

العقيدة الاولى : العرقية الآرية هي حقيقة الحياة الكبرى الروحية . وهي لا تكون في اللغة بل في الدم . والعرقية مصدر كل شيء واساس الثقافة ونوع الروح .

العقيدة الثانية : العروق البشرية غير متساوية وهي شبيهة بمدرج ، منها ما هو سائد ومنها ما هو مسود . ويجيء في آخر المدرج الجنس الاسود ، وفي

وسطه الاجناس الصفراء ، وفي القمة الاجناس البيضاء .

وتتضمن كل اسرة من هذه العروق البشرية درجات من الشعوب ، ففي اسرة السود توجد درجات ، وفي الصفر كذلك ، وكذلك في البيض ، ويأتي الشعب الآري صاحب العرقية الشمالية المنتخبة على رأس العرق الابيض .

العقيدة الثالثة : الآري فوق الجميع ، وصفاته : الشعر الاشقر ، والعينان الزرقاوان ، والبشرة الناصعة البياض . والآري هو مصدر المدنيات جميعاً وكل ما كان عظيماً في التاريخ .

ولما كانت فلسفة روزنبرغ غير واضحة كل الوضوح فقد اخذ هتلر على عاتقه شرحها في كتابه « كفاحي » وفصلها في باب « الامة والجنسية » كما يلي :

« هنالك امثلة في التاريخ لا تقع تحت حصر ترينا في بساطة مفزعة كيف اصبح الدم الآري مختلطاً بدماء هذه الشعوب الجهنمية . وكانت نتيجة ذلك : حصاد جنس خليط جديد .

« ان نظريتي تتلخص في ان كل ما نعجب به فوق هذا الكون الارضي : كالعلوم ، والفنون ، والقدرة الصناعية ، والمخترعات ، هو في الاصل وليد جهود جنس واحد فرد ، هو اجناس الآري .

« لو اننا قسمنا الجنس الانساني الى عناصره الثلاثة : المؤسسين ، والمحافظين ، والمخربين ، لوجدنا ان العنصر الآري هو وحده الذي يمكن اعتباره ممثل العنصر الاول .

(فالمؤسسون : هم الآريون .

والمحافظون : هم الانكليز ، والفرنسيس ، والاميركان ، وشعوب السكنديناف ، وغيرهم .

والمخربون : هم اليهود ، والروس ، والزنوج ، والعرب ، والهنود ، والمصريون ، والترك ، وشعوب البلقان وغيرهم) (*) .

« العنصر الآري هو الذي يتولى منذ القدم الأخذ بيد الانسانية من جميع نواحيها ، والذي راح يطالع باقي العناصر بين حين وآخر بما يوفرها من اسباب الرفاهيـــة .

« واعلن الآري من ناحيته أحقيته بالبقاء فوق منصته ، وعـــدم مخالطة عناصر اخرى ، وابقاء دمه نقياً لا تشوبه قطرات عنصر آخر ، وأحقيتـــه بفردوســه الذي خلقه لنفســه .

---

* نشير هنا الى ان اسماء الشعوب لم تذكر في « كفاحي» وقد اكتفى هتلر بتقسيم البشرية الى ثلاثة عناصر : مؤسسة، ومحافظة، ومخربة،وها هو نصها الحرفي بالانكليزية :

« If we divide the humane race into three categories - founders, maintainers, and destroyers - the Aryan stock alone can be considered as representing the first catagory ».

ولم يذكر اسماء الشعوب المؤسسة ، والمحافظة ، والمخربة ، لجبنه اولاً ، ثم لتخويل نفسه حق رفع شعب من الشعوب الى مصاف الآريين اذا اقتضت ذلك المصلحة السياسية . وعلى سبيل المثال نقول ان هتلر اصدر في العام الماضي مرسوماً « مبدئياً » ينص على ان الشعب الياباني منحدر من عرق آري ! . . .

اما وضع العرب في الدرجة الرابعة عشرة فهو من قبيل الاستنتاج المنطقي نقول هتلر : « ان البشرية سلم لا نهاية لدرجاته » .

« Human progress is like ascending an endless ladder » .

وان الآري يمثل العنصر الذي يقف على رأس ذلك السلم ، كما ورد في نهاية

« ... وفي غمرة الكفاح الفاشل غرق العنصر الآري ، وفي مقبرة اختلاط العناصر دفنت الجنسية الآرية النقية .

وأخيراً : « ان اختلاط الدم بما يصحبه من خفض المدنية ومستوى الجنس والحط من درجته هو السبب الذي اخذت المدنية والحضارة من اجله تسيران نحو الاضمحلال » .

اوجز هتلر في هذه الفقرات المبادىء النازية في العرقية ، وخلاصتها ان الامم لا تميز بلون بشرتها وبمظاهرها بل بنوع دمها !.. وأنقى الدماء البشرية هو الدم الآري . وقد ترتب على الآريين ان يسودوا الشعوب ويخضعوها لسلطانهم ، او كما قال هتلر ايضا :

« يرينا التاريخ ان نشر الالمانية في الارض هو الذي كان يرمي اليه

الفقرة الانكليزية المذكورة آنفاً .

ويقول هتلر ايضاً مصنفاً الالمان على باقي الشعوب : « بطن الآري نقاوة دمه واحقيته بأن يقيم في الفردوس الذي خلقه لنفسه »

« The Aryan renonced purity of his own blood and with it his right to stay in the Eden wich he had created for himself » .

أي ان هتلر يطلب للالمان ان ينعموا في الفردوس الارضي في حين انه لا يسمح للامم الملوّنة المنحطة The inferior coloured nations إلا بطرق ابواب جهنم .

وعلى ذلك فان الدرجات البشرية واردة مبدئيا في « كفاحي » ، غير ان ادولف هتلر لم يشأ تصنيف الشعوب كل باسمه حتى يكون خلواً من القيود .

ولما نشر « كفاحي » على العالم شرحه كبار الكتاب وفضحوه .

آباؤنا الاولون مجد السيف ... في الارض وليس في الدم » .

والمعنى من ذلك ان « التاريخ » دعا الالمان لكي يكتسحوا العالم ويستعمروه على ان لا تدفن الآرية في مقبرة الاجناس الاخرى المنحطة .

ففي هذه النظرية الهمجية نقض للتعاليم الاسلامية ما بعده نقض . فالاسلام ينظر الى جميع اتباعه نظرة واحدة فيقول :

« إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »

بقطع النظر عن العنصر ، واللون ، والعرقية .

وقد جاء في القرآن الكريم :

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ » .

وجاء في آية كريمة اخرى :

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً » .

وفي غيرها :

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعاً » .

وفي غيرها :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ » .

وفي غيرها :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ » .

وهكذا نرى الاسلام يفخر بجميع اتباعه ويعتبرهم إخوة بالرغم من الجنسية والعنصر ، وفي عرفات يظهر الاسلام بمظهر اممي لا مثيل له في التاريخ البشري ، فترى العربي ، والهندي ، والايراني ، والجاوي ، والتركي ، والزنجي ، وغيرهم ، وغيرهم مجتمعين كأنهم ابناء اسرة واحدة يتعارف بعضهم الى بعض ، ويتبادلون عبارات الاخوة والمحبة ، ويعزي بعضهم بعضاً بالمصائب ، ويمنون النفس بالآمال .

والمسلم لا يحقد على شعب من الشعوب لاختلاف الدم ، ومع انه جاء في القرآن الكريم :

« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً »

فالعربي لا يميز نفسه بين المسلمين بانه من شعب مختار .

وعلى ذلك نرى المسلم يتمتع بخلق راق ، وهو انساني اكثر من اتباع

هتلر من الالمان . اي انك اذا اخذت زنجياً مسلماً مدركاً وقارنته بنازي الماني فسرعان ما يتضح لك ان الزنجي اقرب الى الجنس البشري من الالماني، فالاول يقول : كلنا عيال الله، والثاني يقول : ان الشعب الآري الاطلانطيدي هو سيد الشعوب وقائدها منذ الازل ! . . .

فنظرية « العرق » و « الدم » التي تقوم عليها النازية نظرية يكرهها الاسلام لأنها معادية له . وهذا ما يحدو بالمسلمين الى استقباح ما جاء في « كفاحي » لهتلر، وفي « خرافة القرن العشرين » لروزنبرغ، واعتبار « الديانة » النازية الجديدة حديث خرافة .

النازية تلوذ بالصوفية

« اننا نطلب حرية المعتقد الديني لجميع رعايا
الدولة ، على شرط ان لا تكون هذه
الحرية خطرة ! . . . وان لا تستعمل ضد
الشعور المعنوي للعرقية الالمانية » .
– المادة ٢٤ من برنامج الحزب النازي –

من مميزات الحرب الحاضرة انها تتضمن في ذاتها نضالاً مستتراً بين الروح والمادة ، فالنازية التي تمثل اقصى درجات الجشع المادي تسعى سعياً حثيثاً الى تحقيق مطامعها بجميع الوسائل حتى ولو ادى ذلك الى تلاشي حياة الناس الروحية .

فما هي القوة التي تردع المرء عن الاسترسال في ارضاء شهواته المادية ؟

هي الروح بجميع مظاهرها من ادب ، ودين ، واخلاق ، وشرف ، ومروءة ، وتقاليد سامية وغيرها من المقومات النفسية التي لا يستغنى عنها بتاتاً ، والتي يسمو بها عالم الانسان عن عالم البهائم .

ولكن اذا تعارضت هذه العوامل الروحية مع الشراهة المادية فكيف يصبح موقف المرء ؟

له ان يختار احد امرين : اما ان يكبت شهوته المادية ويحصرهـا في دائرة قواه الروحية ، او ان ينقاد الى الطمع المادي ، والنهم البهيمي ، ساحقاً بقدميه الشرائع الارضية والسماوية .

فهتلر اختار الحل الثاني لهذا المشكل وسحق كل قوة روحية تتعارض مع تحقيق مطامعه المادية في داخل الريخ وخارجه . وتتمثل مطامعه المادية

في تقييد العمال والفلاحين الالمان بقيود عسكرية تتضاءل امامها العبودية الرومانية ، والفرعونية المصرية ، والقيصرية الروسية . فالعامل الالماني يشتغل اليوم ١٢ ساعة بلا انقطاع وبأجور بخسة ، ولا يحق له ان يرفع صوته . وكذلك الزارع الالماني فهو يشتغل عند صاحب الارض مقابل اكله ونومه فقط . ومن سخرية الدهر ان يسمي هتلر هذه الحال بالاشتراكية الوطنية !. اي ان يباث « زيد » في سبيل « عمرو » .

اما مطامع هتلر المادية خارج حدود الريخ فليس فيها اي غموض او التباس ، وتتلخص في انه يريد وضع يده على مصادر المواد الخام ، بأي ثمن كان ، بالرغم من ادعائه في « كفاحي » بانه لا يريد احتلال النمسا لاسباب اقتصادية بل لاسباب دموية ، اي نجعل الدم النمسوي يجري في العروق الآرية الحقيقية . ولما تم له احتلال النمسا كان اول عمل اقدم عليه انه استولى على جميع مرافقها الاقتصادية واخضعها مباشرة لوزارة الاقتصاد في برلين تحت اشراف الدكتور شاخت سابقاً والدكتور فونك حالياً .

قلنا ان هدف النازية الحقيقي هو سحق الروح في سبيل المادة البهيمية . ولكن هل باستطاعة الشعب الالماني ان يعيش بلا قوة روحية ؟!...

ومن هنا نشأت الفوضى لدى هتلر وزعماء حزب النازي في البحث عن القوى الروحية التي ستحل محل التعاليم المسيحية ، والثقافة الانسانية الخالدة .

قال بعضهم وعلى رأسهم روزنبرغ ، ولودندورف ، وهوخ ، بالعودة الى الوثنية الالمانية واطلقوا عليها اسم « حركة الايمان الجرماني » Deutche Glaubens Bewegunge واوجدوا لها تاريخاً خرافياً يتصل بقارة اسطورة تدعى الاطلانطيد .

ونادى غيرهم بضرورة ابقاء الديانة المسيحية على ان تنقح، وأطلقوا على حركتهم اسم « الحركة المسيحية الالمانية » Deutche Christen Bewegunge اما اوجه التنقيح التي يرتأونها فهي تجريد الديانة المسيحية من كل الآثار اليهودية او ما له علاقة باليهود ، وتجيد العبارات القوية التي فاه بها السيد المسيح في مناسبات خاصة ، مثل : «ما اتيت لالقي سلاماً بل سيفاً » ، « اما هؤلاء اعدائي فأتوا بهم واذبحوهم تحت قدمي » . وبلغ من تهوّس اصحاب هذه الفكرة انهم قالوا ان سمات السيد المسيح تدل على انه آري ، وان القديس بولس اليهودي هو الذي شوه حقيقته ، الى ما شابه ذلك من الهذيان . ويحمل لواء هذه الفكرة في المانيا اليوم استاذ التاريخ في جامعة كيل الهر يوليوس ماندل .

وتقوم في المانيا الهتلرية حركة ثالثة للفوضى الروحية وهي «حركة التصوف الالماني » Deutche Mystik Bewegunge التي يميل اليها هتلر بذاته ، ويظهر ميله هذا في رده على اصحاب نظرية المسيحية الالمانية ، اذ قال لهم : « ماذا تريدون ؟ أتريدون تأسيس كنيسة المانية ومسيحية المانية ؟ يا له من غرور ! اعلموا انه لا يمكن الجمع بين النقيضين ، فاما ان تكونوا مسيحيين او ان تكونوا المانا . ان الروح المسيحية هي التي تروم سحقها . اننا نريد شعباً حراً يعتقد ان الله يعيش فيه ، وان ديانته الصحيحة هي الصوفية الالمانية القديمة » .

ثم تابع هتلر شرحه قائلا : « اجل ! انني كاثوليكي ، فالعناية شاءت ذلك ! وفي الواقع ان الكاثوليكي وحده هو الذي يعرف مواطن الضعف في الكنيسة الكاثوليكية . فبسمارك كان احمق لانه بروتستانتي يجهل ماهية

الكثلكة . انني لا اقدر ان انصور الالمان وهم يركعون امام شهداء وقديسين سود البشرة ! » .

فهتلر يظهر هنا بمظهر المتحير ، فهو من جهة ضد الديانات الحاضرة وضد تعاليمها الروحية ، ومن جهة ثانية ليس لديه عقيدة جديدة تستند على اسس روحية متينة ، وكانت نتيجة ذلك ان قال :

« ان هناك قوة فعالة عليا تنفذ بنورها الى النفوس وفاقاً لما يتمتع به الافراد من قوة الاستيعاب ، والزعماء يتمتعون بنعم هذا النور اكثر من غيرهم لان قوة الارادة فيهم هائلة ولان مقدرتهم على الاستيعاب عظيمة » . وقد اخذ هتلر هذه الفلسفة الصوفية عن المتصوف الالماني الشهير مايستر يوهان ايكهارت الذي عاش في القرن الثالث عشر والشهير بعبارته القائلة : « احل فيّ صورة الله : متى اراد رؤية نفسه نظر فيَّ ولو اني مثله ، والصلة بيني وبين الله هي المحبة ، ولولا مخلوقاته هذه ما كان خالقاً » . اعتنق هتلر هذه النظرية الصوفية وطبقها عملياً بانزوائه في برختسغادن ، وهي اشبه بصوامع المتصوفين ، والتجائه الى المنجمين في حل المعضلات التي يعجز السلاح الآثم عن حلها .

اما صوفية ايكهارت التي اتينا على ذكرها فهي مشتقة من الصوفية الاسلامية التي نقلها الى اللغة اللاتينية المتصوف المستشرق الالماني البرت بونشتيد، استاذ ايكهارت في القرن الثالث عشر ومعبود هتلر في اواسط القرن العشرين .

فالنازية اليوم تلوذ بالصوفية الاسلامية القديمة . وقد اكثر القوم في المانيا من درس آراء مؤسسي المدرسة الصوفية الاسلامية مثل الشيخ الاكبر محيي الدين ابن عربي الصوفي القائل بتحول الله في صور اسمائه وصفاته بالوجود الصوري ، والسيد البكري القائل : « انشلني من اوحال التوحيد واغرقني في عين بحر

الوحدة ، حتى لا ارى ولا اسمع ولا اجد ولا احس الا بها »والحلاج القائل : « انا الحق ، وما في الجبة غير الله » وغيرهم ...

وجاء هتلر المحتار في روحه وردد ما قاله متصوفونا القدماء بعبارته التي اوردناها آنفاً وهي : « اننا نريد شعباً يعتقد ان الله يعيش فيه ! » .

وصفوة القول ان زعماء النازية يتخبطون في ظلمة حالكة ، يبحثون عما يعوض على الالمان فقدان الدين فلا يجدونه ولا يهتدون اليه ، وقد تفتحت امامهم سبل عديدة الا انهم اجبن من ان يزجوا الشعب الالماني فيها ، فهناك الالحاد،والوثنية ، والمسيحية الالمانية، والصوفية،فأي سبيل ينتهجون ؟!..

لقد وضعنا هتلر في مرتبة الشعوب المخربة ، لكنه لما احس بان الازمة الروحية تهدد كيان بلاده اخذ يتصفح تاريخ الصوفية الاسلامية القديمة ! ..

ولكن هل تنقذه الصوفية من تخبطه الروحي ? ومن يضمن ان نهايته لن تكون كنهاية الحلاج ?

حقيقة الديمقراطية في الاسلام

لقد كثر التحدث في هذه الايام عن الديمقراطية واخذ الناس يتغنون بها في البيوت والشوارع والمقاهي ، حتى ان من لم يسمع بالديمقراطية طوال سني حياته تراه اليوم يتباهى بانه من اشد انصار الديمقراطية ، واذا سئل ما هي الديمقراطية ، اجاب بدون تردد : « هي الحرية ! » ونعم الجواب .

لقد ادرك الناس ، بعد ان صاروا شهوداً على جرائم الطغيان في اوربا ، ان الديمقراطية هي الحرية ، وهي لعمري خطوة كبيرة في تقدم بلادنا الفكري ، اقول خطوة كبيرة لان الديمقراطية كانت في قرن مضى عبارة مخيفة تؤدي بصاحبها الى الهلاك .

ولعل اول قطر عربي وصلت اليه « رسمياً » فكرة الديمقراطية الحديثة هو مصر . فلما استحكمت الازمة المالية في القطر الشقيق في القرن الماضي وتراكمت الديون على المغفور له الخديوي اسماعيل ، اراد الخديوي ان يكسب عطف الشعب المصري باعلان النظام الديمقراطي كما هي الحال في الغرب .

ولما اجتمع نواب الامة المصرية لاول مرة سنة ١٨٨٢ وقف الخديوي يقول :

— اتعرفون ما هي الديمقراطية ايها النواب ؟

فأجاب اكثرهم بالنفي !

قال :

— اسمعوا : الديمقراطية يا نواب الامة معناها ان يؤيد نفر منكم سياسة حكومتي ، ويعارضها نفر آخر . فهيا وزعوا انفسكم بحيث يجلس المؤيدون

في الصفوف اليمنى ، والمعارضون في الصفوف اليسرى - وانا ، بصفتي رئيس الحكومة الاعلى ، سأجلس في الجهة اليمنى طبعاً ، وعلى من يريد معارضتي ان يجلس في الجهة اليسرى .

وقبل ان ينتهي من حديثه كان النواب قد تزاحموا جميعاً على مقاعد اليمين، ولم يجرؤ نائب واحد على الجلوس في مقاعد اليسار ؟ . .

وجرت في مصر في تلك الايام انتخابات الجمعية التشريعية ، فتنافس مرشحان عن دائرة من الدوائر واخذ كل منهما يكيل التهم لزميله جزافاً . وقال احدهما في معرض خطابه ان خصمه ديمقراطي !

وتساءل الناس : ديمقراطي يعني ايه ؟ فقال الخطيب :

— ديمقراطي . . . يعني عاوز يخلي المره تتجوز على كيفها !

فسأل الناس المتهم بالديمقراطية :

— هل انت حقاً ديمقراطي ؟

فاجاب على الفور :

— وسأبذل آخر قطرة من دمي في سبيل الديمقراطية .

فيا خبر اسود ! . . . وانقلب البلد عليه ، واوشك الاهلون ان يفتكوا به ، وسارت المظاهرات في طول الدائرة وعرضها تهتف بسقوط الديمقراطي والديمقراطية ! . . .

وسقط الديمقراطي فعلاً في الانتخابات ونجح منافسه .

هكذا فُهمت الديمقراطية الحديثة في الشرق في القرن الماضي ، وهو فهم عقيم ، يثير اليوم استغراب ابسط الناس واكثرهم تأخراً .

غير ان تشويه معنى الديمقراطية الغربية في بدء انتشارها في الشرق لا يدل

على ان المسلمين كانوا غرباء عن اسمها المبدئية السامية . لقد أشكل عليهم فهم هذا الاصطلاح ، ولم يعمل وقتئذ مفكروهم على تفسيره من حياة المسلمين نفسها ، من تاريخهم الاسلامي المجيد .

الديمقراطية مركبة من كلمتين يونانيتين وهما « ديمو » — الشعب و « قراطيا » — السيادة ، اي سيادة الشعب . ومعنى ذلك ان لا يكون هناك ظلم واعتساف بل يكون الشعب هو المرجع الاخير في تكييف نوع الحكم والادارة ، وذلك بواسطة نوابه المنتخبين .

فاذا انعمنا النظر في تاريخنا الاسلامي وفي تعاليم القرآن الكريم ، تيقنّا ان اهم مبادىء الديمقراطية منصوصة في صميمها .

حقاً ان ديمقراطية اليوم هي اعلى درجات الديمقراطية التي عرفها التاريخ ، واذا ما قورنت بالديمقراطية الاسلامية القديمة بدت لنا انها تتضمن معاني اوسع من معناها المعروف ، الا ان اشراك الشعب في ادارة الشؤون العامة ، واستشارته ، هما ظاهرتان عرفهما المسلمون منذ عهد قديم ، وطالما بشر بهما النبي العربي محمد بن عبدالله ومن بعده معظم خلفاء الاسلام .

فما هي الديمقراطية الاسلامية ؟

من مبادىء الاسلام الاساسية الدعوة الى المساواة العامة . كان الناس قبل الاسلام ينقسمون الى ثلاثة اقسام : رجال الدين ، ورجال الحكومة ومن التحق بهم من الشرطة والجنود ، والعامة . فكان رجال الدين هم الأعلى مكاناً ، والأرفع مقاماً ، وكان رجال الحكومة يلونهم في الدرجة . وكانت الطائفتان معاً عاملتين على تسخير العامة لمصالحها ، وابتزاز ثروتها ، واقتطاف ثمراتها لسد حاجة شهواتها . الاولى باسم الدين ، والثانية باسم السلطة

الدنيوية . فلما جاء الاسلام قضى على هذه التقسيمات ، وقرر ان الناس سواء .

وكان الناس قبل الاسلام يعتقدون انهم قد خلقوا لكي يطيعوا طائفة الحاكمين طاعة عمياء . فلما جاء الاسلام قلب هذا النظام رأساً على عقب وجعل لكل فرد حق الرقابة على الحكومة وابداء الرأي في الشؤون العامة ؛ فقال تعالى :

« وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ » .

وقال ايضاً :

« وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ »

وكان الناس قبل الاسلام يتخيلون الجماعات البشرية كقطعان السوائم تصرفها ادارة رعاتها وتقودها الى حيث يتفق مع مصلحتها . فجاء الاسلام وقرر ان للوجود الانساني سنناً . فالجماعات البشرية في مجموعها كائنات حية ، لها ادوار تأتي عليها وحالات تدخل فيها .

وكان الناس قبل الاسلام ينظرون الى القادة نظرهم الى الآلهة المتحكمة في اسعادهم واشقائهم ، فجاء الاسلام ودحض هذه النظرة قائلا ان امر اصلاح الاحوال وترقية النفوس راجع الى الامم ذاتها لا الى القادة المتسلطين ، لانه لا يرى لهم حولا في احداث التغيير الجوهري ، بل هم أثر من آثار الحالة التي تجتازها الامم .

فالدعوة الى المساواة ، والشورى ، والاقرار بحيوية الجماعات ، ورفض الانقياد الاعمى للقادة ، هي اهم ما امتازت به الديمقراطية الاسلامية ، وقد دعمها الخلفاء الراشدون بالكثير من الامثلة في حياتهم العملية .

هذا وان قصة القبطي مع ابن حاكم مصر عمرو بن العاص شهيرة يضرب بها المثل في ديمقراطية الخليفة الاول، ولا بأس من ايرادها لمناسبتها المقام :

« روي ان رجلا قبطياً من اهل مصر اتى عمر بن الخطاب فقل: يا امير المؤمنين ، عائذ بك من الظلم . قال : عذت معاذاً . قال : سابقت ابن عمرو ابن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول : انا ابن الاكرمين . فكتب الخليفة الى عمرو يأمره بالقدوم مع ابنه ، فقدم ، فقال الخليفة : اين المصري؟ خذ السوط فاضرب . فجعل يضرب بالسوط والخليفة يقول : اضرب ابن الاكرمين . ثم قال للمصري : ضع السوط على صلعة عمرو ، فقال : يا امير المؤمنين ، انما ابنه الذي ضربني وقد اخذت ثأري منه . فقال عمر لعمرو : مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً ؟ » .

واختصم مرة يهودي مع علي ابن ابي طالب فاتى به الى عمر بن الخطاب للمحاكمة ، فقال عمر لعلي : يا ابا الحسن قف بجنب خصمك . فغضب علي ، فقال عمر : اغضبت لاني طلبت اليك ان تقف بجنب خصمك اليهودي ؟ فقال علي : لا ، بل غضبت لانك كنيتني فاعطيتني مقاماً اعظم من مقام خصمي اليهودي ! .

هذان مثلان من مئات الامثلة ان دلا على شيء، فانما يدلان على عدل خلفاء الاسلام ، والعدل اهم ركن من اركان الديمقراطية .

يأمر النبي العربي (ص) اتباعه ان يحكموا عقولهم ، ويحذرهم من الوقوع في شرك اهل الخداع والمطامع الذين يسمون الى قيادة العامة باهوائها وتسخيرها بأوهامها . فيقول الحديث الشريف : « لا يعجبكم اسلام رجل حتى تنظروا ماذا عقده عقله . »

وجاء في آية كريمة :

« وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ

وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً » .

وبصر الاسلام على طلب العلم والمحافظة عليه، والعلم، كما هو معروف، عمود الديمقراطية الفقري . وقد جاء في القرآن الكريم :

« وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً » .

« وَمَا أُوتِيتُم مِنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً » .

وجاء في الحديث الشريف : « اطلب العلم ولو في الصين » ، « من علم علماً فكتمه ألجمه الله بلجام من نار » .

ويؤكد الاسلام ان « الفرد المستبد » ليعجز عن تغيير منهج قوم قبل ان تتغير نفسية القوم ، فوردت في القرآن الكريم الآية :

« إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ » .

وصفوة القول ان مقومات الديمقراطية الحديثة منصوصة في جميع التعاليم الاسلامية ، وان لم تحدد بكلمة واحدة ، وهي تجمل في ما يلي :

اولاً : الدعوة الى المساواة امام السلطات المدنية والروحية .

ثانياً : ضرورة الشورى ، اي ان يستشير الخلفاء ، واولو الامر الرعية في الشؤون العامة .

ثالثاً : استعداد الخلفاء ، واولي الامر للتنازل عن مراكزهم اذا رأى الشعب فيهم اعوجاجاً .

رابعاً : الدعوة الى تحكيم العقل وعدم الخضوع للقادة خضوعاً اعمى .

خامساً : الدعوة الى انتهال العلم من موارده الصحيحة والعمل على نشره وعدم كتمانه .

القسم الثاني

الالمان والمسألة الشرقية

خلال الحرب الماضية

يعتقد بعض المؤرخين خطأ ان المسألة الشرقية زالت بزوال السلطنة العثمانية ، والواقع انها لا تزال عقدة العقد ، وقد اتخذت في ايامنا هذه شكلاً آخر ، ووجهة ثانية . وهي تثار كلما عملت دولة او كتلة دول اوربية على اعادة النظر في خارطة الشرق كله . وتنقسم اوربا بين مؤيد للحالة الراهنة في الشرق وساع الى تغييرها بجميع الطرق من دبلوماسية واقتصادية وحربية .

والمسألة الشرقية هي سياسية اقتصادية بحت وليس للدين من اثر جوهري فيها الا ما يثار عن سابق اصرار وتعمد .

فاذا حق لنا تقسيم المسألة الشرقية الى مراحل فاننا نجملها على ثلاث :

المرحلة الاولى — في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، اي عندما وطئت اقدام الترك ثرى اوربا واسسوا دولتهم الفخيمة وقام بينهم وبين بعض الدول الاوربية عراك شديد ودارت رحى حروب عديدة . وبالاختصار فانه ما ان ظهرت صولة الترك في اوربا حتى اخذت بعض الدول الاوربية تظهر العداء للدولة وتطاردها وتعمل على اخراجها من القارة الاوربية .

المرحلة الثانية — قبيل حرب ١٩١٤ وبعدها ، اي بعد ان نجحت الثورات في البلقان وفقدت تركيا القسم الاوربي من امبراطوريتها . ثم جاء دور القسم الشرقي والممتلكات التركية الشرقية بما فيها بلاد العرب ، وتمت نهائياً عملية تصفية املاك « الرجل المريض » .

المرحلة الثالثة – هي التي نجتازها اليوم ، وخلاصتها ان المانيا الهتلرية وايطاليا الفاشستية غير راضيتين عن حل المشكلة الشرقية كما جاء في معاهدة فرساي ، وتريدان اعادة النظر في هذه القضية ابتداء من البلقان ثم سائر اقطار الشرقين الادنى والاقصى . وتسعى المانيا بنوع خاص لجذب روسيا السوفياتية الى حلبة المشاكل الشرقية مستعملة في هذا السبيل شتى طرق الاغراء والاستفزاز .

فالامر الذي يهمنا درسه في المسألة الشرقية ليس تاريخ هذه المسألة منذ نشأتها بل الدور الذي مثلته المانيا وما فتئت تمثله لتحقيق مشروعها الشرقي منذ زيارة الامبراطور ولهلم لسوريا وفلسطين حتى ايفاد مندوب الشباب الهتلري فون شيراخ الى بلدان الشرق الادنى .

غير خاف على احد ان الالمان حصروا حل المشكلة الشرقية في تحقيق مشروع سكة برلين – بغداد ، وخلاصته ان الامبراطور ولهلم نال من الباب العالي امتيازاً بمد سكة حديدية تخترق اوربا الوسطى حتى ابواب الهند ، وقد ورد في الاتفاق فقرة تخول الالمان حق الاستيلاء على الاراضي الواقعة على جانبي سكة الحديد لبناء مستعمرات يهاجر الالمان اليها .

وقد شرع الالمان فعلاً بمد ذلك الخط من محطة حيدر باشا في استنبول الى حلب مخترقاً جبال طوروس ، واقاموا في بعض المناطق الزراعية الغنية التي يمر بها الخط مراكز سكنها الالمان بحجة المحافظة عليه وتصليح ما يصيبه من عطب .

اما ان ذلك المشروع الاستعماري الالماني كان اكبر نكبة حلت بالمانيا في تاريخها فيؤكده الهر الفرد لانسبورغ، احد كبار الصناعيين الالمان وصاحب

مجلة « بانك » (*) فقد كتب في عـدد حزيران سنة ١٩٠٩ مقالا بعنوان « اهمية بزنطية الاقتصادية » جاء فيه : « كانت الغاية من رحلة وغلم الثاني الى فلسطين تمهيد الطريق امام سكة حديد برلين – بغداد ، ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان هذا المشروع الالماني المشؤوم كان اكبر دافع لانكلترا على ان تعمل على عزلنا وتطويقنا » .

والحقيقة ان السبب الجوهري لاعلان حرب ١٩١٤ هو سعي المانيا الى مزاحمة انكلترا في الشرق ودحرها .

وقد شرع الالمان بزحفهم على الشرق المسمى « درانغ ناخ اوستن » في سنة ١٩٠٠ فبدأوا بشروع سكة برلين – بغداد ، واوفدوا الى المغرب الاقصى عدداً لا يستهان به من « التجار » الالمان فاستوطنوا هناك ، وكانوا يبثون الدعاية الالمانية بين السكان ، وكانت عواصاتهم تأتي سراً الى المرافئ المغربية وتموّن الالمان بالمال والذخيرة ، وقد عقدوا النية على اكتساح المغرب لولا قيام الانكليز والفرنسيين بعمل حاسم ادى الى القضاء على المطامع الالمانية .

اما فلسطين فقد عوّل الالمان على جعلها المركز الرئيسي للتغلغل الالماني في الشرق العربي ، فأسسوا فيها عشرات المستعمرات : في سارونا ، وملبس ، والقدس ، وحيفا ، ويافا . . . وشيدوا في القدس اضخم بناية في الشرق الادنى وتعرف ببناية الطور ، وهي تطل على المدينة المقدسة ، وجعلوهـا وكراً للجاسوسية الاستعمارية الالمانية ، مما اضطر الطائرات الانكليزية سنة ١٩١٧ الى انزال ضربات طاحنة على تلك البناية . ثم اسسوا في البلاد مصرف

* « Der Zug zur bank » 1909

« دويتشه الفيينيه بنك » ، وكانت مهمته تكبيل سكان المدن والقرى من العرب بالقروض الفاحشة ، واستهتروا الزراعة والصناعة فزاحموا الصناع والزراع العرب،وأسسوا في القدس مدرسة باسم « شنلر » للايتام السوريين بحجة مساعدة ابناء الفقراء ، وكانوا في الواقع يتصدون دماء بضع مئات من الاطفال المساكين باستخدامهم في الاعمال الشاقة ، وكم من طفل قتلته عجلات الآلات وسياط الهر باول . . . والهر فريتس .

واخيراً حاكوا شبكة معقدة الخيوط للتجسس على حلفائهم الترك ، وكان من اعضائها عدد من ابناء البلاد واليهود ، يتنقلون بين سوريا، ومصر، والعراق ، والحجاز الخ .

اما في سوريا فكان الالمان سادة الموقف يؤسسون نوادي الدعاية في بيروت ، ودمشق ، وحلب ، ويبعثون بمخبرات البلاد ، ويحثون السلطات المحلية على الفتك برجال العرب .

ومن اعمالهم الآثمة تأسيسهم في دمشق « حزب الاصلاح الحقيقي » لمناوأة الحركة العربية برئاسة فوزي باشا العظم ، وعضوية الامير شكيب ارسلان، وعبد الرحمن اليوسف ، والشيخ اسعد الشقيري ، والشيخ عبد العزيز شاويش، وعبد العزيز الثعالبي .

وقد مثل الامير شكيب بصورة خاصة في هذه الجمعية دوراً عزبياً ،فباسم الدفاع عن « الستاتيكو » العثماني كان عوناً للاستعمار الالماني ، واستمر على اخلاصه للألمان الى ما بعد الحرب الماضية بل الى يومنا هذا .

وكذا الحال في مصر ، فقد ازعج الالمان القطر الشقيق بدسائسهم ، حتى بلغ بهم الاجرام الى الطيران فوق القاهرة سنة ١٩١٥ والقاء القنابل على احيائها

الفقيرة ، فقتل من قتل وجرح من جرح . ولما اجرت السلطات تحقيقاً دقيقاً تبين لها ان هناك جواسيس المانا يعملون بالاتصال مع قائد الجيوش الالمانية في فلسطين ليمان فون ساندرس ، فألقت القبض على احدهم واعدمته شنقاً .

هكذا كانت الحالة في سني الحرب الماضية ، فأينما وجه المرء نظره ، الى مراكش او تونس ، الى مصر او الهند ، الى فلسطين او سوريا ، الى البحرين او العراق ، وجد نشاطاً المانياً خارقاً للعادة من اقتصاد ، وسياسة ، وجاسوسية منظمة ، مما دل دلالة واضحة على ان مشروع سكة بغداد يرمز الى بسط السيادة الالمانية على الشرقين واخضاع ملايين العرب والمسلمين الى سيطرة مماثلة لسيطرة الجلادين المتحكمين بزنوج الكونغو والكامرون في افريقيا على عهد الالمان .

لقد استعمل الالمان في الحرب الماضية جميع الوسائل التي تضمن لهم حل المسألة الشرقية كما يريدون ، اي الفوز على الحلفاء ، ودحرهم من ممتلكاتهم ، وتشكيل امبراطورية المانية كبرى شعارها : « المانيا فوق الجميع » . ومن تلك الوسائل ارغامهم الاتحاديين وشيخ الاسلام في استنبول على استثارة العالم الاسلامي ودعوة المسلمين الى الجهاد .

كتب المستشرق الفرنسي الذائع الصيت اوجين يونغ في هذا الصدد ما يلي : (*)

« . . ان استئناف العمل الذي كان بونابارت ينويه هو السبب الحقيقي لرحلة العاهل غليوم الشهيرة في الشرق . فقد كان « حامي الاسلام » يطمع بالسيادة على العالم واحتلال الهند ووضع بريطانيا تحت رحمته .

* « مسائل الشرق واستعباد الاسلام » صفحة ٩ ، اوجين يونغ .

«وهذا الطموح ، وهذه الحاجات والمطامع ، جرّت الى حرب ١٩١٤ ، الا ان المانيا كانت كجاري عادتهـا يعوزها علم احوال النفس ، فكـانت متكلة على استنفار المسلمين بقولها ان الخلفاء يريدون ضم اقاليم السلطان اليهم وهي مأهولة باقوام اكثريتها من المسلمين ، وكانت معولة على الخليفة ليدعو اليه جميع المؤمنين .

«وقد فاتها ان الاسلام يعرف ان الخلفاء يتحلون باللين والهوادة ، ويراعون العادات ، ومزاولة الناس اعمالهم ، والتمتع بالحرية الفردية الخ . . »

فحروب الالمان في الحرب الماضية حل المسألة الشرقية وفاقاً لمصالحهم امر مفضوح شهد به اكثر الكتاب والمؤرخين الغربيين والشرقيين ، غير ان الحرب الماضية وان حطمت آمال الاستعمار الالماني وقضت على جميع مطامحه في الشرق فانها لم تتمكن من ان تجتث اصول ذلك الاستعمار المريع ، فجمع شمله خلال عشرين سنة واستأسد من جديد ، وقفز مدججاً بالسلاح وعلى رأسه الدهان ادولف هتلر الذي ما خلق الا ليحارب ويموت مجندلاً فوق ملايين الجثث البشرية .

وانبعثت القضية الشرقية من جديد عام ١٩٣٢

الجاسوسية الالمانية في العالم الاسلامي

خلال الحرب الماضية

للجاسوسية الالمانية في العالم الاسلامي سلسلة مراحل تاريخية بلغت ذروتها في الحرب الماضية وطالما انزلت بالشرق كثيراً من المصائب والنكبات . ولا أبالغ اذا قلت ان ما عاناه ابناء الشرق في الحرب الكونيــة من الجوع والشقاء والموت كان اثراً من آثار الجاسوسية الالمانية الاستعمارية .

صرح المرشال هندنبورغ في ذكرياته ان المانيا حاولت الاستفــادة من وحدة الاسلام السياسية والدينية تمهيداً لتغلغلها في العالم الاسلامي وخــاصة في افريقيا الشمالية .

وكتب الدكتور « ويرث » Dr Wirth في كتابه « واجبات المانيا في المستعمرات » (*) المطبوع في فرانكفورت سنة ١٩١٥ ما يلي : « ينبغي للترك اصحاب الشعور القوي بالحقائق ان يمهدوا لنا سبيلاً للاستيلاء على شمالي افريقيا . اما الاستيلاء على وادي النيل فهو الضمانة الوحيدة لسيادتنــا في القارة الافريقية ، ودعامة قوية للامبراطورية الالمانية » .

وللشروع بتنفيذ هذه الخطة ارسل الالمان الى تركيا قطيعاً من الجواسيس المتسترين بمظاهر العلم والثقافة والفن لانهم كانوا يشعرون ، كما قــال الجنرال

---

* Dr A. Wirth und Zimmermann : Was muss Deutschland an kolonien haben . 1918 .

ايان فون ساندرس القائد الاعلى للجيوش التركية في الشرق ، بقلة عـدد الاختصاصيين في شؤون العالم الاسلامي وعاداته وتقاليده الخ ...

وكانت البعثات الخاصة من الالمان تفد بكثرة الى تركيا والافغان وايران والبلاد العربية ، ومن اهدافها الاولى تهديد قناة السويس ، وحدود الهند الشمالية الغربية ، وآبار البترول في عبادان ، والاتصال بزعماء القبائل المسلمة لاثارتها في سبيل المصلحة الالمانية .

الجاسوسية الالمانية في ايران والافغان

لما اشتعلت نيران الحرب العظمى حاول التاجر الالماني « فونكهاوس » Wonckhaus ، صاحب المحلات المعروفة باسمه في بندر العباس والبحرين ، نسف آبار البترول البريطانية في البصرة ، فافتضح امره قبل ان يقوم بعمله الشيطاني . لكن ذلك لم يثبط عزيمة الالمان ، واخذ الهر واسموس Wassmuss يتصل بالمانيا في شوستار ، على عاتقه إثارة قبائل تنغستاني لتهديد الانكليز في العراق وقطع الطريق الممتد بين بوشير وشيراز ، واستخدم في هذه المهمة الخبير البافاري اوسكار فون نيدرماير Oskar von Niedermayer الذي كان يتقن الفارسية .

ثم شرع الالمان بواسطة البرنس روس Reuss ، رئيس شركة « اوسفارتنغ امت » في طهران ، بالاتصال بالوطنيين الايرانيين اعضاء حزب « الاتحاد الاسلامي » وحثهم على القيام بثورة ضد الشاه ، وتأسيس حكومة ايرانية تنهج سياسة المانية . على ان هذا المشروع لم يصب النجاح المنشود ، فاقترح الكونت كانيتز Kanitz ، الملحق العسكري الالماني في طهران ، القيام

بعمل عسكري حاسم في ايران للاستيلاء على البلاد بواسطة قوة المانية تأتي من تركيا وبمعونة الجنود النمسويين الالمان الهاربين من روسيا والملتجئين الى ايران .

اما الافغان فقد رحل اليها في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ الضابط اوسكار فون نيدرماير مجتازاً « طوق الهند الشرقي » فبلغ كابول على رأس قوة مؤلفة من ٤٤ ألمانياً بينهم المقاول « روهر » Rohr والطبيب « بيكر » Becker . وكانت مهمة هذه البعثة تهيئة هجوم عنيف على قرية (بانتان) الهندية المتاخمة للحدود بمساعدة رجال « الملا » (*) والقبائل الجائمة .

ولما بلغ نيدرماير ان الأمير حبيب الله لا يميل الى خططه حاول اسقاطه عن العرش ، فتدارك الامير الامر وقضى على المشروع الالماني وأرغم البعثة الالمانية على مغادرة الافغان نهائياً والعودة الى ايران .

الجاسوسية الالمانية في القفقاس

على اثر انعقاد مؤتمر باطوم في سنة ١٩١٨ ، وهو وليد اتفاقية برست ليتوفسك ، (**) ضاعف الالمان اعمالهم التجسسية ضد الروس بتشكيلهم

* اسم يطلق على دراويش التركستان والشرق الاقصى .

** وقعت معاهدة برست ليتوفسك الالمانية الروسية في الثالث من شهر آذار ١٩١٨ وهذه نصوصها :

اولا : سلخ اوكرانيا عن روسيا وتشكيل حكومة او كرانية مستقلة يحميها الالمان على ان تقدم لالمانيا باسرع ما يمكن مليون طن من المواد الغذائية .

ثانيا : سلخ بولونيا الروسية نهائيا عن روسيا وجعلها مقاطعة خاضعة لالمانيا .

ثالثا : سلخ فنلندا عن روسيا ووضعها تحت الحماية الالمانية .

حكومة مأجورة اطلقوا عليها اسم « حكومة عبر القفقاس » ، وساعدهم انور باشا في ذلك . وكان هدفهم الحقيقي من تشكيل تلك الحكومة فرض سيادتهم على مناطق الحبوب في جورجيا والبترول في اذربيجان .

الجاسوسية الالمانية في مصر

اراد الالمان من زج تركيا في الحرب الكبرى تمهيد الطريق لاكتساح القطر المصري وسد قناة السويس في وجه الاسطول البريطاني . وكان للمان فون ساندرس خطة مزدوجة وهي شن حملة عسكرية بقيادته وقيادة احمد جمال باشا على الترعة من ناحية الاسماعيلية ، ودفع الجواسيس الى احداث اضطرابات داخلية في مصر . وهذا ما حمل الجنرال مكسويل ان يكتب الى اللورد كتشنر قائلا له : « ان اعوان المانيا يبثون في مصر انقلاباً » وطلب منه اعتقال ٨٠٠ الماني ونمسوي يقطنون مصر .

الجاسوسية الالمانية في البحر الاحمر والحبشة

وامتدت اعمال التخريب الالمانيـة الى شواطىء البحر الاحمر والحبشة متمنة حياد هذه المملكة وقبولها كل من يبطها من الالمـان . وفي كانون الثاني ١٩١٤ جـاء من تونس الى دمشق الرائد الالمـاني ليو فروبينوس

رابعا : سلخ جورجيا عن روسيا وجعلها دولة مستقلة صديقة لالمانيا .

خامسا : سلخ ليتوانيا ، وكورلاند ، وليتونيا ، واستونيا ، وسائر جزر البلطيق عن روسيا وجعلها « نطاقا صحيا » يفصل البلاشفة الروس عن اوربا .

سادسا : على الروس ان يقدموا للالمان ستة مليارات من النقد والبضائع بشكل تعويضات حربية .

Léo Frobenius فالتقى بالمهندس الالماني مارتين Martin وتخفيا بألبسة البدو واتجها الى العراق حيث ركبا باخرة صغيرة اقلتهما الى الحبشة . الا ان الطراد الانكليزي Desaix اعتقلها في الطريق ، وكان ربانه يجهل شخصية الراكبين المتخفيين فسمح بانزالهما في مصوع ، (وكانت ايطاليا آنئذ لا تزال محافظة على حيادها) فغادراها الى الحبشة واتصلا بالنجاشي ليدج ياسو Lidj - yassou وحملاه على اثارة قبائل الغالا والدناقيل ضد الانكليز .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ان الماجور الالماني فون ستوزنجن Von Stozingen الذي يجيد العربية هبط شمالي الجزيرة في صيف ١٩١٥ موفداً بمهمة خاصة هي اقامة محطة راديوسرية في صنعاء للتفاهم مع المان افريقيا الشرقية ، والاتصال بقبائل السودان ، والارتيريا ، والصومال ، واثارتهـا ، وايجاد رابطة مع خيري بك ، الضابط التركي المقيم في اليمن ، والاتفاق معه على تدبير خطة ترمي الى مهاجمة عدن

الجاسوسية الالمانية في طرابلس الغرب

بعد ان دخلت ايطاليا الحرب بجانب الحلفاء اخذ الالمان يظهرون اهتماماً كبيراً بطرابلس الغرب فأوفدوا اليها بعثة تجسس برئاسة الكابتن الالمـاني تودنوارث Todenwarth ومساعده حسن ساكت بك ، فوضعت هذه البعثة نصب عينيها حمل قبائل فزان على الثورة . وقد استفاد الجواسيس الالمان من الفظائع التي انزلها الطليـان بالطرابلسيين وتمكنوا في صيف ١٩١٥ من اثارة ٣٠ ألف مقاتل من السنوسيين يقودهم فريق من الضباط الالمان برئاسة القائد النمسوي برنس دي براغانز Prince Die Bragance

الجاسوسية الالمانية في تونس

في اوائل عام ١٩١٤ حاولت بعثة للتجسس الالماني يرأسها فون بيبوف Von Bibow ، عضو اركان حرب المانيا ، الدخول من طرابلس الغرب الى تونس عن طريق نالوت ، لكن سهر السلطات التونسية حال دون ذلك ونجحت الايالة من جرائم الجاسوسية الالمانية .

الجاسوسية الالمانية في الجزائر

اما الجزائر فكانت جوزة قاسية لم تستطع اسنان الالمان ان تنال منها وطراً ، فقد ضربت المدرعتان الالمانيتان « برسلو » و « غوبن » شواطىء بون وفيليبفيل تمهيداً لهبوط بعض الجواسيس الالمان .

ثم تأكد لهم ان هذه العملية عسيرة جداً فقر رأيهم على الاستفادة من الاسرى الجزائريين واستخدامهم في الحرب والتجسس . وكان بين اولئك الاسرى ضابط يدعى سي بو قبيه فألحقه الالمان باركان حرب الجنرال فون ساندرس وناطوا به بعض المهام التجسسية في سوريا وفلسطين والحجاز .

الجاسوسية الالمانية في مراكش

وكانت الحالة في مراكش تختلف كل الاختلاف عن تونس والجزائر ، اذ كان فيها بعض الالمان المستوطنين الذين حلوا دون استئصال جرثومة الجاسوسية الالمانية بالسهولة المطلوبة بالرغم من صدور الظهير الشريفي القاضي باخراج قنصل المانيا من مراكش وملاحقة الرعايا الالمان .

ولما شعرت الجاسوسية الالمانية بشدة الوطأة في مراكش الفرنسية نقلت

مقرها الى مراكش الاسبانية ، وكان يشرف عليها في تطوان قنصل المانيا الدكتور زوخلين Dr Zoechlin ، وفي طنجه قنصل المانيا البارون فون ساكندورف Von Sackendorff .

وفي اواخر سنة ١٩١٤ اتصل قنصل المانيا في تطوان بالسيد عبد الملك الجزائري ، ابن الامير عبد القادر الجزائري واخي علي باشا الجزائري نائب دمشق في مجلس المبعوثان العثماني ، وسلمه رسالة من السلطان محمد رشاد ومن امبراطور المانيا يحثانه فيها على اعلان العصيان ضد فرنسا ويعدانه بتقديم ما يلزم من سلاح ، ومال ، ومدربين . غير ان هذه المؤامرة باءت بالخسران وسهلت على السلطات اكتشاف حلقات اخرى من نشاط دوائر الاستخبارات الالمانية في مراكش .

ويتضح من هذه العجالة ان الالمان لم يدخروا وسعاً إبان الحرب الماضية في نصب اشراك الدسائس في الممالك الاسلامية ، وكان عمالهم المنتشرون من جبال القفقاس حتى عدن، ومن كابول حتى تطوان، يحثون المسلمين على الجهاد باسم السلطان والامبراطور ، مستخدمين لهذا الغرض كل شعور ديني ، او قبائلي ، او قومي .

ونقول على سبيل المثال ان السنوسيين كانوا على حق في نضالهم من اجل تحرير طرابلس الغرب ، ولكن من الذي حاول الاستفادة من ذلك النضال سوى الالمان ؟ . . .

النازية والمسألة الشرقية
خلال الحرب الحاضرة

عادت المسألة الشرقية الى الوجود إثر قيام النظام الهتلري في المانيا ، هذا النظام الذي ينطوي في جوهره على الحرب بنوعيها الداخلية والخارجية .

فما من ريب بأن الديمقراطيات تساهلت مع النازيين كثيراً فسمحت لهم باحتلال السار ، فمنطقة الحياد الواقعة على ضفة الرين الشرقية ، ثم كتاكساح النمسا ، والسوديت ، وعقدت معهم اتفاقية مونيخ بشأن تشيكوسلوفاكيا ، الى ان اتسع الخرق فطارت بولونيا ، وتبعتها الدانيمارك ، ونروج ، وهولاندا ! . والسلسلة لم تنته بعد ، فهناك البلقان ودول الشرق الادنى التي يقف لها الاستعمار الهتلري بالمرصاد .

جاء في المادة الثالثة من برنامج الحزب النازي بشأن القضية الشرقية او المستعمرات ما يلي : « اننا نريد الاستيلاء على البلاد والاصقاع «المستعمرات» لتغذية شعبنا ولاسكان الزائد من السكان » .

وقد المع هتلر وغوبلز وغورنغ اكثر من مرة الى المستعمرات الالمانية القديمة مطالبين باسترجاع ممتلكاتهم في افريقيا الشرقية ، فاذا ما نالوها تاهلاً من الديمقراطيات ، جعلوها نقطة ارتكاز يقفزون منها على البلاد العربية ، وملجأ لقراصنتهم في البحر الاحمر ، طريق الهند الاكبر .

اجل ، ان هدف الاستعمار النازي الحقيقي هو الشرق : اسواق المستعمرات ، حيث تستخدم رؤوس الاموال ، وتحجز الخيرات ، وتستثمر الايدي العاملة ،

وتجتني الارباح الطائلة ، وتستخرج المواد الخام .

يدعي الالمان ان في تقسيم العالم بين الدول الكبرى غمطاً حقهم ، فهم يريدون ايضاً ان تكون لهم امبراطورية وممتلكات لا تغيب عنها الشمس !..

ولكن فاتهم ان حالة الشرق اليوم غيرها في الحرب الماضية : فالشعوب الشرقية في سنة ١٩٤٠ لا تباع وتشرى كالسوائم ، ولا تسمح لنفسها بان تنتقل من يد الى يد ، وأن تجرب حكم الدول الغربية الواحدة تلو الاخرى .

كانت المشكلة الشرقية في الماضي تحل على اثر جلسة او جلستين مع سلاطين آل عثمان ، ولم يكن للشعوب الشرقية كلمة نافذة في ذلك الحل . اما اليوم فبعد ان انتشرت الافكار الديمقراطية في الشرقين الادنى والاقصى ، وتضاعفت وسائل الثقافة لدى جميع الطبقات ، وظهرت في العالم الاسلامي طبقة راقية هي من خيرة من انجبتهم الامم الشرقية ، أصبح من العسير على الدول المطالبة باعادة النظر بالمسألة الشرقية ان تنال بغيتها دون ان تصطدم بارادة مئات الملايين من الهنود والصينيين والترك والعرب وغيرهم وغيرهم .

ان الالمان وسواهم من شعوب الاستعمار الفقير ، على حد تعبير موسوليني ، يدركون تمام الادراك ان الشرق اليوم مرتبط بدول غنية راقية ، وموقفه منها موقف الرجل المطالب بالاخوة والمساواة ، لا الانفصال عنها والوقوع في براثن الدول الفقيرة الجائعة .

ويعرف الشرق ايضاً ان العبد اذا بلغ مرتبة السيادة فجأة اعمل السياط في ظهور من يتحكم بهم دون رحمة او شفقة . وان المومس اذا ما صارت سيدة بيت ركبت رؤوس الخدم وشددت عليهم الخناق انتقاماً من حياة

السقوط التي عاشتها في بيرت الدعارة • وان الشقي اذا اصبح محافظاً على الامن جعل من دوائر الحكومة مغارة للصوص والقتلة •

وكم هي عظيمة عبارة شاعر انكلترا الكبير شللي القائلة : استطيع المرء الذي تمرغ في احضان العبودية ان ينقلب فجأة حر الفكر قوي الارادة ؟

وهل تقدر المانيا النازية التي يتحكم بها زمرة من اشقياء مونيخ ان تفرض سيادتها على الشعوب ؟ وهي ان فعلت الا تكون مثل ذاك العبد ، وتلك المومس ، وذاك الشقي ؟ • • •

ان المسألة الشرقية اليوم لأعقد من ذنب الضب ، ولا أكون مبالغاً اذا قلت ان اثارة هتلر لها ستجلب له الضربة القاضية الى الابد ، وان الحلفاء اذا ما مهدوا للشرق تعاوناً عملياً فلا تمضي سنة واحدة حتى تتقلم اظافير اضخم رأس من طغاة اوروبا الحالية •

لا يقدر النازيون او غيرهم على اعادة النظر في المسألة الشرقية في هذه الحرب لسبب لا يقل اهمية عن كل ما ذكر ، الا وهو حالة الشرق السياسية : فتركيا الكمالية تتمتع بنظام استقلالي لم تمهده في ادوارها التاريخية . وايران يحكمها رجل من الشعب امين على تعاليم الفردوسي ، وابن سينا . • والافغان تصون استقلالها بحمية مثيرة للاعجاب ، معتبرة باخطاء امان الله خان وبهتلرية باجه سقا الدكتاتور! . . والهند تنال الاصلاح اثر الاصلاح وعلى رأسها حكماء عالميون مثل غاندي ، ونهرو ، وطاغور ، يزيلون العثرات ويذللون الصعاب ، للوصول الى ما فيه خير الهند وسعادتها • ومصر مرتبطة بالانكليز بمعاهدة ضمنت لها استقلالاً يحسدها عليه الكثير من الشرقيين ، وسادت ابناءها روح المحبة والالفة ، وتآزرت الاحزاب مع البيت المالك لصد خطر الموت الزاحف

من الخارج . وفي فلسطين تعود المياه الى مجاريها ، وتأخذ السلطات بأهداب الحكمة والتبصر ، فتضع للهجرة حدوداً ، ولبيع الارض ميزاناً ، وتعمل على التوفيق بين مصلحتي العرب واليهود بشكل مرض ، حبذا لو انتهجته منذ امد بعيد ، اذاً لوفرت على ذلك القطر العزيز ما فقده من خسائر جسيمة بالارواح والاموال . وفي سوريا ولبنان يسود الاحزاب السياسية والجماعات الطائفية هدوء مطلق ، فلا كتلوي ولا شهبندري ، ولا دستوري ولا اتحادي ، لا عربي ولا اشوري ، لا ماروني ولا مسلم ، بل ابناء بلاد واحدة متكاتفون متضامنون للدفاع عن حياض البلاد . وفي العراق حكومة وطنية عربية غيورة تستند الى جيش عربي قوي ، وقد اخذت على عاتقها توحيد قوى دول الشرق باتفاقية سعد آباد لاقامة سد شبيه بسور الصين في وجوه طلاب الاستعمار .

هذا هو الشرق اليوم وأين منه شرق الحرب الماضية حيث عم الفقر ، وانتشرت الفوضى ، وكان ٩٩ بالمئة من السكان اميين لا يعلمون للحوادث أسباباً ، ولا للنكبات أرباباً ، ينظرون الى ما يجري حولهم بعيون حائرة ، وأفواه فاغرة ، مستسلمين الى شياطين الموت استسلام النعاج للجزارين .

ومع ذلك كله فان هتلر وجواسيسه يحاولون إثارة المسألة الشرقية باسلوب جديد لا يمت بصلة الى اسلوب « اعلان الجهاد » و « مخاطبة المؤمنين » و « استغلال الخليفة ورجال الدين » . فالاسلوب النازي الحاضر لمعالجة المسألة الشرقية عصري وكثير التعقيد ، هو مزيج من التدجيل الوطني والشعوذة الاجتماعية ، يقتضي غزو الافكار قبل غزو البلاد عن طريق الدعاية المنظمة وانفاق الاموال الطائلة .

المؤسسات «العلمية» النازية
لغزو الافكار الاسلامية

يرجع تاريخ الدعاية الالمانية في بلاد الاسلام الى ما قبل الحرب العالمية ، حيث اخذ بعض العلماء الالمان يقومون بدراسات علمية واسعة لطبيعة البلاد الاسلامية ، وتاريخها ، ولغاتها ، وعاداتها ، وتقاليدها ، وقد برز منهم آنئذ الاساتذة : ديكرت من جامعة فرانكفورت ، وفيليبسون من جامعة هال ، وبروبستر مدرس اللغة العربية المغربية في ليبزيغ ومدير المكتب الافريقي في ولمستراسه ، ومدرس العربية حالياً في مونيخ · وهناك غيرهم عدد كبير من المستشرقين الالمان الذين جعلوا مهمتهم استعمار المسلمين فكرياً ، مثل الدكاترة : اوباخ ، وراكوف ، ودوغن ، وكرين ، وميلر ، وهارتمان ، فكانوا يتراسلون مع اصدقائهم المخدومين في الشرق ، ويتخذونهم مطية لنشر النفوذ الروحي الالماني في الاوساط الاسلامية ·

اما المؤسسات التي قامت في المانيا لدرس شؤون الشرق والاسلام ولا يزال بعضها قائماً حتى الآن فهي :

« الجمعية الشرقية »

« Die Morgenlandiche Gesellschaft » .

« الاتحاد الالماني »

« Das Deutche Verein » .

« الجمعية الاسيوية المصرية »

« Die Vorderasiatische Egyptische Gesellschaft » .

« الجمعية الالمانية الشرقية »

« Die Deutche Orient Gesellschaft ».

« الجمعية الالمانية لدراسة الفن الاسلامي »

« Die Deutche Gesellschaft fur Islamkunde ».

« جمعية الفنون الاسيوية »

« Die Gesellschaft fur Ostasiatische Kunst ».

« معهد اللغات الشرقية »

« Der Seminar fur Orientalische Sprachen ».

لقد قدمت هذه المؤسسات العلمية خدمات جليلة للاستعمار الالماني في الحرب الماضية . وبعد ان منيت المانيا بالانكسار اقفلت هذه المؤسسات ابوابها حتى عام ١٩٣١ ، اذ عادت المانيا الى سيرتها القديمة وهي المطالبة بالمستعمرات والتوسع في الشرق ، فأوعز هتلر الى الدكتور غوبلز بأن يعير الاسلام اقوى اهتمامه ، فهبت في المانيا عاصفة من الدراسات والمقالات والمحاضرات عن الاسلام وأهمية العالم الاسلامي ، والى القارىء احصاء بذلك نشر قبل سنتين في المجلة الالمانية «نحن والشرق» «Der Orient und Wir» :

« بلغ عدد المحاضرات التي ألقيت عن الاسلام والشرق ١٩٦ محاضرة في سنة ١٩٣٣ ، و ٢٦٥ في ١٩٣٥ ، و ٣٤١ في ١٩٣٦ (٦٧ منها تبحث في القضية العربية) . وبلغ عدد الدراسات الشرقية ٣٠٠ في سنة ١٩٣٥ (٤١ منها تعالج مسائل العرب، و١٢ تعالج احوال الامبراطوريتين الانكليزية والفرنسية) » .

وهكذا مزج النازيون قضايا التعليم بدعايات غوبلز الرخيصة : مزجوا الهندسة بالاعجاب بالصليب المعقوف ، وعلم الميكانيك بتوزيع آلات الراديو

السرية ، وعلم الكهرباء بطريقة ارسال الشفرة ، وعلم الكيمياء بيدأ تحليل الدماء وفرزها على آرية وغير آرية ٠٠

اوفد الشرقيات الطلاب الى المانيا ليتعلموا الاختصاص فكانوا يعودون اليه وهم دعاة مستميتون لهتلر والاستعمار الالماني ٠ اما الذنب في ذلك فلا يقع على اولئك الطلاب بل على رؤوس وزراء التربية الذين لم تمكنهم ثقافتهم الضيقة من فهم حقيقة النظام القائم في المانيا ، فكانوا يأخذون بالقشر دون اللباب ، ويطوحون بخيرة ابناء الشرق الى جحيم النازية حيث يفقد الانسان شعوره بانه انسان ويسوده الظن انه مسمار بسيط في الجهاز الهتلري الهائل ٠

أعمدة الدعاية النازية

ولكي تكلل مساعي غوبلز بالنجاح في الشرق وبين الشرقيين انشأ مؤسسات جديدة تحمل ظاهراً اسم العلم وباطناً سموم الجاسوسية ، والى القارئ اهمها :

« الجمعية الاستعمارية » ويرأسها الدكتور بروغر ٠

« Koloniale Gesellschaft » .

« الاتحاد العلمي الاستعماري » (ومن اعضائه العاملين تقي الدين الهلالي ، استاذ العربية في جامعة بون)

« Akademischer Kolonial Bund » .

« الاتحاد الافريقي » « Afrika-Verein » في هامبورغ ويرأسه البروفسور بيس الموفد من قبل الدائرة الخارجية لحزب النازي ٠

« الاتحاد الالماني الشرقي » « Deutsche Orient Verein » ومهمته التقريب الثقافي والاقتصادي بين المانيا والشرق الادنى ، وله نشرة نصف

شهرية هي « الوقائع الشرقية » « Orient - Nachrichten » .

« اتحاد آسيا المناضلة » « Bund Der Asien kampfer » ويرأسه الجنرال فون شلي ناشا وله نشرة دورية هي « الشرق المصور » «Orient Runschau» .

« جمعية الخدمة الاستعمارية الالمانية » « Deutsche Kolonial Dienst » القائمة في نورمبرغ ومهمتها تنظيم الدعاية النازية في البلاد الواقعة على شواطىء البحر الاحمر ، وفي آسيا الوسطى والعراق، وارسال الدعاة الالمان الى تلك المناطق .

« اتحاد المبارزة » « Ficht Bund » القائم في هامبورغ ومهمته الاتصال بالمان الشرق ونشر الدعاية النازية بواسطتهم .

« النادي العربي » ومركزه برلين .

« الجمعية الالمانية الاسلامية » ومركزها برلين ، وهي تشرف على ادارة كل الجمعيات المذكورة آنفاً ، ولها صلة متينة بالبنك الالماني الشرقي وبوزارتي الدعاية والمال .

وهناك جمعية لا تقل اهمية عن تلك الجمعيات في اداء رسالة « التقارب الالماني الاسلامي الا وهي « رابطة الثقافة الاسلامية » « Islamischer Kulturbund » وقد أسسها الامير شكيب ارسلان في فيينا عام ١٩٣٣ ومن اعضائها : البارون رودولف فون ارنفلس ، والبروفسور دباور R . Debaur من جامعة فيينا ، والسادة فريتس عبدالله (الماني) ، وارتر ربين (الماني) ، ومكي الناصري ، ومحمد الوزاني ، والحاج عبدالسلام بن نونه (مغاربة) ، واسبانيان ، ومصري ، وفلسطيني ، وهندي .

وفي المانيا عدا هذه الجمعيات التي تقوم بخدمة النازية الاستعمارية ، جالية

اسلامية من الالمان الذين اعتنقوا الاسلام ! ...

فالدعاية الالمانية في بلاد العرب والاسلام قديمة العهد ، ولما ظهر الحزب النازي عمل على انعاش المؤسسات الاستعمارية التي خلفها غليوم وراءه ، وخلق مؤسسات جديدة يشترك فيها بعض الطلاب والتجار المسلمين المقيمين في المانيا وطلاها بالوان براقة أخاذة كاذبة .

فالجمعيات والمجلات التي تعنى اليوم بأمور الشرق والاسلام في المانيا هي الاداة الفعالة للجاسوسية الالمانية ، وهي الركن المتين للتوسع الاستعماري النازي في آسيا وافريقيا .

الدعاية والجاسوسية النازية في العالم الاسلامي
قبيل الحرب الحاضرة واثناءها

اي بلد شرقي لم تدنسه الجاسوسية النازية في ايامنا هذه ؟ . . . اية هيئة وطنية او صحيفة معتبرة لم يسع قناصل المانيا في الشرق لتصيدها وكراً لنفث السموم والتقاط الاخبار ؟ . . بل اي زعيم او شبه زعيم لم يحاول اذناب هتلر ايقاعه في شباكهم المغرية ؟ . . .

فاسمع ايها القارئ، نص الكتاب المرسل من وزير الدعاية الالمانية الى وزير الحرب، وقد استحصل عليه احد الصحفيين الانكليز سنة ١٩٣٥ واحدث نشره وقتئذ ضجة كبرى . وهذا مضمونه :

« برلين ولهلمتراسه ١٦ ايار ١٩٣٥

« اننا نشكر وزير الحرب على المساعدة التي يود تقديمها لنا بشأن الدعاية في الشرق، ونشاطره الشعور والرأي في ما يتعلق بالاهداف التي ترمي اليها تلك الدعاية .

« لقد بعث وزير الدعاية بتاريخ ٨ ايار ١٩٣٥ بالتعليمات المفصلة الى وزارة الخارجية وقناصل المانيا في الخارج . وتلقى عملاؤنا الاوامر للقيام بما يترتب عليهم . وقد اشعرنا بذلك قناصلنا في رباط ، وتطوان ، والجزائر ، وحيفا ، وبيروت ، كما اننا اتصلنا بجواسيسنا (Vertrauenslente) من ابناء الشرق واحطناهم علماً بالمهام الملقاة على عواتقهم .

« نحن على يقين من أننا لن نوفق في مسعانا الا اذا تمكنت دعايتنا من

النفاذ الى قلوب الاهلين في المستعمرات .

« وقد طلبنا من ممثلينا في الشرق ان يوافونا بالتقارير الشهرية، ونحيلها الى وزارتكم الموقرة في وقته » .

وتفضلوا الخ . . .

وصدر على اثر هذا الكتاب امر من وزارة المال الالمانية (*) بتخصيص عشرين مليون مارك للدعاية والجاسوسية في البلدان المسلمة عامة والعربية خاصة . وانصرف عملاء هتلر منذ ذلك الحين الى بث الدعايات الهدامة متوسلين بشتى الأساليب وأهمها :

اولاً — الضرب على وتر الوطنية والاستقلال وتشبيه بلاد العرب بألمانيا قبل بسمارك .

ثانياً — استغلال المشكلة الفلسطينية بالعلب على الحبلين : اثارة العرب من جهة ، وتحييد اعمال الاستعمار اليهودي من جهة اخرى . (والشاهد على نفاق النازيين في فلسطين ان قنصل المانيا في القدس تزوج من فتاة يهودية ، ونجم عن ذلك ان احتل الالمان المكان الاول في واردات فلسطين واصبح اليهود يستوردون ٨٠ بالمئة من البضائع من المانيا . ونذكر بهذه المناسبة ايضاً الرسالة التي بعث بها من تل ابيب في سنة ١٩٣٧ مندوب « فواكشر بيوباختر » الى جريدته مثنياً فيها على الجهود الصهيونية ! . . .)

ثالثاً — الزعم بأن الدين الاسلامي هو دين العنف الملائم الروح النازية . وقد قال هتلر في « كفاحي » (صفحة ١١٥ الطبعة الانكليزية) : « ان الايمان المحمدي اقرب الى التقدم (الالماني) من غيره » .

* اذاعت هذا الخبر في حينه جريدة « وينر تلنراف » الصادرة في فيننا .

رابعاً — تصوير هتلر بانه « فارس » و « عنتر » و « قبضاي » الى غير ذلك من المشاهد المسرحية التي تثير اعصاب العامة في الشرق وتحرك فيهم عواطف الدهشة والحماسة والاعجاب .

خامساً — التهويل بخطر الاقليات القومية في الشرق والادعاء بان اليهود يتحكمون برقاب المسلمين ، وان الارمن او « يهود الشرق » كما دعاهم هتلر يزاحمون مسلمي شواطىء البحر المتوسط .

سادساً — استغلال المبادىء الشيوعية كوسيلة لنشر الافكار النازية ، وايجاد جو « قومي » ارهابي يفرض نفوذه على الجماهير بحجة القومية التي تتنافى مع اللاقومية .

سابعاً — تأسيس احزاب سياسية ، وجمعيات قمصان ملونة ، ونواد تستتر بستار الرياضة والثقافة ، واتخاذها وسيلة لتحبيب المانيا والنظام النازي الى اهل الشرق .

ثامناً — شراء الصحف والمجلات لتنشر الدعاية لالمانيا بطرق منوعة كالتنويه بالاعمال السياسية الهتلرية تحت عناوين ضخمة، واصدار ملاحق خاصة لكل خطاب يلفظه الفوهرر . ومقابل ذلك تتناول الجريدة المأجورة مبلغاً معيناً من المال من القنصلية القائمة في البلد، او من اية شركة تجارية المانية، وتحصل مجاناً على جهاز راديو ماركة « وستنكهاوس » .

تاسعاً — تكليف مندوب د . ن . ب . الالمانية بالتجسس على السلطات المحلية والاستفادة من مهنته كمراسل رسمي للاطلاع على اسرار حكومات الشرق بمساعدة بعض الصحفيين المأجورين .

عاشراً — تكليف بعض « الرياضيين » بان يرسلوا الى الاولمبياد الدولي

في نورمبرغ بعثات رياضية شرقية تدفع الحكومة الالمانية نفقات سفرها واقامتها وعودتها ٠

حادي عشر – الايعاز الى المغنين الزجاليين بتعبئة اسطوانات حماسية فيها الثناء العاطر على المانيا وهتلر . (ولا تزال بعض هذه الاسطوانات العربية تدار في البيوت حتى هذا اليوم) ٠

ثاني عشر – حمل الاشخاص الذين تلقوا العلم في المانيا على ان يمدوا « اساتذتهم » بالمعلومات عن حركات الشباب في الشرق وان يلقوا بين الفينة والفينة محاضرات عن مشاهداتهم في المانيا ، وان ينشروا المقالات الطيبة للمستشرقين الالمان في المجلات الاسبوعية والصحف السيارة ٠

ثالث عشر – تكليف عملاء الشركات التجارية الالمانية بتقديم تقارير ضافية عن اوضاع بلادهم التجارية والاقتصادية ، وينالون مقابل ذلك حسماً كبيراً من اصل ثمن البضائع المستوردة ٠

رابع عشر – تكليف الجاليات الالمانية المقيمة في الشرق بتنظيم اجتماعات عامة لبث سموم الدعاية النازية تدعى اليها « نخبة » من الاهلين المأجورين او المخدوعين بالشعوذة الهتلرية ٠

خامس عشر – دفع الارتيستات الالمانيات وغير الالمانيات الى الاتصال برجال الجيش والموظفين والزعماء والصحفيين وانتزاع المعلومات منهم بأية صورة كانت ٠

سادس عشر – حض الجواسيس لبعض الاولاد على رسم الصليب المعقوف على الجدران مقروناً بتحية هتلر ، وذلك للفت نظر السكان واشعارهم بان دعاة النازية نشيطون في حركاتهم ٠

في مثل هذه الاساليب حصر دعاة هتلر عملهم في الشرقين الادنى والاقصى، وقد وفقوا بعض التوفيق الى ايجاد نوع من حرب الاعصاب بين السكان والسلطات من جهة ، وبين الطوائف والاحزاب من جهة اخرى، وقد اتخذت الدعاية لهتلر في السنة الماضية شكلاً مزرياً اذ تجرأ بعضهم على اصدار كتب ومجلات هتلرية خاصة طبعت على نفقة قناصل المانيا او بمعونة وكالة شركة « الاسبرين » ، ككتاب « المانيا اليوم » الصادر في مصر عام ١٩٣٨ كملحق لمجلة « الفلاح الاقتصادي » ، وقد استهل كالعادة بصورة صاحب الجلالة الملك فاروق فصورة هتلر .

وكتاب « ادولف هتلر » تأليف احد موظفي دار الكتب المصرية ، والصادر في القاهرة عام ١٩٣٤، وهو مستهل بهذه العبارة : « لقد قاد هتلر الثورة وبدأ الكفاح ، ولا تنتهي هذه الثورة الا عندما تستعيد المانيا في الداخل والخارج عظمتها وسالف مجدها كاملين ! ..... » لعل اكبر حادث اهتزت له اوربا والعالم اجمع هو انتصار ثورة النازي المقترن باستيلاء الزعيم الاكبر ادولف هتلر على السلطة في المانيا » .

ثم كتاب « كفاح هتلر » ترجمة مصري هتلري متحمس لم يدع صفة من الصفات الحسنة الا خلعها على الفوهرر ، وزينت له سخافته ان يلقب هتلر باعظم رجل في العالم ويعقد عليه الآمال الكبار .

ويضاف الى هذه الكتب عشرات المقالات ، واعداد المجلات الخصوصية التي اوحت الحركة الهتلرية بروح غوبلز ، وبأموال شاخت . واساليب الدعاية النازية التي اتينا على ذكرها ما هي الا ناحية من نواحي نشاط عملاء المانيا في الشرق، وهناك ناحية اخرى لا تقل خطراً عن الدعاية،هي الجاسوسية

وتنظيم اعمال الارهاب والتخريب .

الجاسوسية الالمانية في الشرق

نيطت مهام الجاسوسية الالمانية في الشرق بأربعة قناصل ، الاول : الهر سيلر M. Seiler قنصل المانيا العام في بيروت ، وهو زميل الجاسوس نيدر ماير الذي اشتهر امره في الحرب الماضية . والثاني : الدكتور غروبا Dr. Grobba قنصل المانيا العام في بغداد . والثالث : فون شتوهرر Von Stohrer قنصل المانيا العام في القاهرة . والرابع : الكونت فون شل Von Schell قنصل المانيا العام في تطوان .

وفي شهر نيسان ١٩٣٩ ، وهي السنة التي بدأت فيها امواج الجاسوسية الالمانية تطغو على الشرق ، خرج من المانيا ٥٠ منظماً للجاسوسية الالمانية يتقنون اللغات الشرقية ، وانتشروا في افريقيا الشمالية ، وفلسطين ، ومصر ، ولبنان ، وسوريا ، وتركيا ، والعراق ، وايران ، والافغان .

الجاسوسية الالمانية في المغرب الاسباني

لعل اقوى منظمات الجاسوسية الالمانية في افريقيا الشمالية هي منظمات المغرب الاسباني . وقد ترأس فرع تطوان المدعو « لانغنهيم » Langenheim المقيم في المغرب منذ سنة ١٩٠٥ والجاسوس الذائع الصيت في الحرب الماضية . وترأس فرع العرائش التاجر الالماني المعروف ويلمر Wilmer . وترأس فرع مليله الاستاذ « المستشرق » المدعو شليختنغ M.K. Shlichting . وكان للجاسوسية الالمانية فروع في سبته وجزر الكناري . اما المهام التي القيت على

هذه المنظمات فهي اولاً : مساعدة الجنرال فرانكو في اعلان العصيان على الجمهورية الاسبانية . ثانياً : تخريب المؤسسات البريطانية في طنجه . ثالثاً : تحريض المغرب الفرنسي على السلطان وعلى الدولة الحامية . رابعاً : ارسال الجواسيس من الاهالي المأجورين الى الرباط عاصمة المغرب ، والى الجزائر ، وتونس ، للحصول على المعلومات الحربية والاقتصادية .

الجاسوسية الالمانية في مصر

اما الجاسوسية الالمانية في مصر فقد اوكل امرها الى الجالية النازية التي كانت تتظاهر في الشوارع باللباس النازي وهدفها ايجاد التفرقة بين الاحزاب المصرية ، واستغلال جمعية مصر الفتاة التي يرأسها « الفوهرر » احمد حسين ، وبث روح العداء بين المصريين والاجانب .

وقد سافر الدكتور غوبلز الى مصر في العام الماضي لتدشين اعمال الجاسوسية الالمانية واصطحب معه بعض الخبيرين في « الاجتولوجيا » ، وما وطئت اقدامهم ارض مصر حتى اختفى اثرهم ، وعبثاً ذهبت مساعي الشرطة المصرية لالقاء القبض عليهم . ولما سئل غوبلز عنهم اجاب انه مسؤول عن جوازه فقط ! . . .

وثبت للسلطات المصرية فيما بعد ان الجاسوسية الالمانية بلغت مقاعد المحاكم المختلطة ، مما اضطرها الى اتخاذ تدابير قاسية واعتقال جميع الالمان دون استثناء .

الجاسوسية الالمانية في سوريا

نشطت الجاسوسية الالمانية في لبنان وسوريا منذ سنة ١٩٣٤ ، وكان

قنصل المانيا في بيروت يرعاها بعنايته الفائقة . ومن ميزاتهـا انها لم ترتكز بالدرجة الاولى على الالمان، كما كانت عليه الحالة في مصر، بل على الارتيستات الاجنبيات، والصحفيين، وعلى حزب « الفوهرر» الطون سعاده . وانحصرت مهام الجاسوسية الالمانية في هذه الربوع بتحقيق ما يلي : اولاً : زرع بذور التفرقة بين سوريا ولبنان . ثانياً : ايقاع الخلاف بين المسلمين والمسيحيين. ثالثاً : استفزاز بعض العناصر المريضة للاصطدام بالسلطات الفرنسية . رابعاً : عرقلة المشاريع الفرنسية الاقتصادية . خامساً : المتاجرة بالسلاح .

واتخذ جواسيس الالمان من دمشق مركزاً لهم واحاطوا انفسهم بهـالة كاذبة من « القومية » المستميتة . وكان احدهم يضع في صدر بيته صورة هتلر وعن يمنه غورنغ وعن يساره غوبلز ، ويقوم برحلات مستمرة الى المانيا بحجة الاستشفاء في ربوع مصر !...

وفي صيف ١٩٣٧ نزلت في دمشق طائرة من نوع « لوفت هانزا » وعليها زعيم الشباب الالماني بالدور فون شيراخ ومعه شحنة من رجال الغستابو ، وقد عهد اليه بتفتيش منظمات التجسس الالمانية في سوريا ولبنان .

وكان من ذيول الدسائس الالمانية الآتية ان اغتر بعضهم بالوعود المختارة المعسولة ، وسوّلت له نفسه القيام بأعمال تقتصر فائدتها على العدو ، فألقي القبض على من اشتبه بامرهم وقدموا للمحكمة العسكرية في دمشق . وها نحن ننشر نص البلاغ الذي اذاعته المفوضية العليا بهذا الشأن :

« في مساء يوم ٢٥ تموز ١٩٣٩ اوقف الدرك الفرنسي في دمشق امام منزل رئيس مجلس المديرين لسوريا عدداً من الاشخاص المسلحين القادمين لاغتيال سعادة بهيج بك الخطيب .

« وأوضح التحقيق ان هذا الاغتيال لم يكن سوى العمل الاول من مؤامرة ارهابية ترمي الى اغتيال الضباط الفرنسيين والعائلات الفرنسية في دمشق .

« وقد قام الدرك الفرنسي بعمل سريع حازم ادى الى احباط المؤامرة .

« وبما ان هذه الحوادث تتعلق في الدرجة الاولى بالنظام والسلامة العامة فقد تلقت المحكمة العسكرية في دمشق امراً بفتح تحقيق . وقد اكد هذا التحقيق النتائج التي اسفر عنها التحقيق الاول ، وأظهر ان هناك منظمة واسعة النطاق يديرها عادل العظمة الملتجىء الى العراق غايتها السعي لاثارة حركة ثورية باستخدام عصابات مسلحة يقودها محرضون اجانب . وكشف التحقيق ايضاً عن ان زعماء هذه الحركة كانوا يتلقون الاوامر من دوائر الدعاية الالمانية ، وان الاوامر التي اصدرها هؤلاء الرؤساء شرعت تتخذ تدريجياً شكلا واضحاً محتم التنفيذ تبعاً لتحرج الحالة الدبلوماسية في اوربا .

« وهكذا احيل سبعة وعشرون شخصاً ، منهم احد عشر فارون ، الى المحكمة العسكرية في دمشق بتهمة التآمر على سلامة الدولة الداخلية ، وبينهم سبعة وجهت اليهم فضلا عن ذلك تهمة محاولة اغتيال سعادة بهيج بك الخطيب .

« وبعد محاكمة دامت يومين كاملين ومذاكرة استمرت ثلاث ساعات ، لفظت المحكمة بتاريخ ١١ نيسان وبالاجماع حكمها بالاعدام على سبعة اشخاص ، منهم اثنان فاران ، حوكموا بجرم محاولة اغتيال ، وحكمت على الآخرين بالسجن مدداً مختلفة تراوح بين ٥ و٢٠ سنة .

« وقد ميز المحكوم عليهم بالاعدام احكامهم الى محكمة التمييز العسكرية التي تدرس اضباراتهم في الوقت الحاضر . فاحكام الاعدام اذاً الصادرة عن محكمة دمشق العسكرية ليست قطعية » .

الجاسوسية الالمانية في العراق

للدكتور غروبا اليد الطولى في تنظيم الجاسوسية الالمانية في العراق . ولا يسعنا سوى الاعتراف بانتجاح الذي لاقاه دعاة المانيا في ذلك القطر الشقيق ، ومرد ذلك الى ان الالمان استطاعوا استغلال الشعور القومي العراقي بمهارة فزجوا نهوض المانيا الاستعماري بالحماسة العسكرية العراقية ، ونزوع الشباب العراقي الى ضروب القوة والفروسية ، والتضحية في سبيل العروبة ، وصاروا ينفخون في رؤوس بعض العراقيين انهم شبيهون برجال بسمارك ، وان بسمارك العرب الوحيد هو بكر صدقي ! . . .

وكانت خاتمة المأساة الهتلرية في العراق ان قتل بكر صدقي ، وبكاه الدكتور غروبا ، وقد قيل انه اغمي عليه عند سماعه خبر وفاة « محرر العرب الاكبر ! » . . .

ومن الاسباب الوجيهة التي جعلت من العراق تربة خصبة للتحريض النازي ميل بعض الزعماء والعسكريين الى التحكم برقاب الشعب ، وهي طبيعة موروثة من عهد الاقطاع . وقد وجد الالمان في العراق علاوة على ذلك بعض المرتزقة مثل يونس البحري يدفعونهم الى ارتكاب افظع الجرائم واحطها .

الجاسوسية الالمانية في ايران والافغان

لم ينس الالمان ايران والافغان بل ارسلوا اليها « جاليات » المانية كأساتذة

ومدربين حربيين . فبعد ان كان عدد الالمان في كابول منذ ثلاث سنوات ٤٥ المانياً اصبحوا في العام الماضي ٣٠٠ . اما ايران فقد ظهرت فيها الشراهة النازية بشكل مفضوح ، وبلغ من قحة رجال النازي انهم كانوا يطلبون من الحكومة الايرانية ان لا تقوم باستعراض الا بحضور الجالية الالمانية ، ويشترطون على الطلاب الايرانيين ان يمشوا مشية (الوزة) في الاستعراض ويبسطوا ايديهم على الطريقة الهتلرية .

اما مهمة الالمان في الافغان وايران فهي المهمة ذاتها التي عمل لاجلها جواسيس غليوم في الحرب الماضية ، يضاف اليها بعض المشاريع بشأن القفقاس السوفياتي .

وهكذا انتشر جواسيس المانيا النازية في العالم الاسلامي عاملين على افساد معنويات المسلمين ، وبث روح الشقاق بينهم وبين من جاورهم من الاقوام والعناصر ، ودك صروح الحكومات الشرقية الناشئة ، والحيلولة دون كل تعاون شريف بين شعوب الشرق وانكلترا وفرنسا .

لقد مرت بالشرق عاصفة نازية مريعة ، كادت تطوح به في هوة لا قرار لها ، ولم ينقذه منها الا ثورة الانسانية الحاضرة .

العالم الاسلامي والحلفاء

« قيل للحكيم جمال الدين الأفغاني : ان المتداول بين الناس عن لسانك « يحتاج الشرق الى مستبد عادل » ، قال : « هذا من قبيل جمع الاضداد . وكيف يجتمع العدل والاستبداد ؟.. وخير صفات الحاكم القوة والعدل، ولا خير في الضعيف العادل، كما انه لا خير في القوي الظالم » .

نعني بالعالم الاسلامي العرب من مصريين ، ومراكشيين ، وجزائريين ، وطرابلسيين ، وتونسيين ، وحجازيين ، ويمنيين ، ونجديين ، وعراقيين ، وسوريين ، وفلسطينيين ، وهنود ، وسودانيين ، وافغانيين ، وايرانيين ، وترك ، وجاويين ، الخ ...

العالم الاسلامي هو مجموع شعوب يبلغ عددها ٤٠٠ مليون من البشر تفصلهم بعضهم عن بعض فوارق قومية ، وجغرافية ، وتاريخية ، ولغوية ، وتربطهم رابطة دينية قائمة على وحدة الايمان ، ووحدة النبي العربي ، والعمل المشترك وفقاً للتقاليد الاسلامية ، والتمسك بالخلق الاسلامي ، وبالمعنويات الاسلامية ، وبالمبادىء الفكرية التي يبشر بها الاسلام .

والمسلمون كافة يقيمون الامور بمقياس الدين الاسلامي الحنيف ، فاذا

اصطدموا بفكرة او بمذهب او بأية عقيدة جديدة فأول ما يفعلون انهم يحكّون تلك الافكار والمذاهب والعقائد بمحك التعاليم الاسلامية فاذا تلاءمت مع روحيتهم الموروثة أنسوا اليها ، والا نفروا منها وحاربوها .

فانحياز العالم الاسلامي الى جانب الديمقراطية ووقوفه كشخص واحد في وجه الطغيان النازي مرجعها الروح الاسلامية قبل كل شيء آخر ، اي ان الاعتبارات الاشتراكية ، والقومية ، وما الى ذلك من اتجاهات فكرية حديثة لا تمثل دوراً عظيماً في طرق تفكيرهم .

انهم لا يقاومون هتلر لانه خصم للحزب الفلاني وللجماعة الفلانية ، بل لأن مبادئه شيطانية ، واعماله استبدادية ، واهدافه بشعة ، وهم يؤيدون الديمقراطية لا لأنها تناصر الحزب الفلاني والجماعة الفلانية ، بل لأن المبادىء التي تقوم عليها الديمقراطية هي المبادىء ذاتها التي يقوم عليها الاسلام .

وعلى ذلك فالعالم الاسلامي يناصب النازية العداء بالدرجة الاولى بوحي روحي . وكل ما يتطلبه الأمر ان يعمل المثقفون المسلمون على شرح حقيقة النازية ، واذ ذاك نرى ملايين المسلمين المتمسكين بتعاليم دينهم الحنيف يهبون كشخص واحد وقد اخذتهم الرعشة من هول ما يرون وما يسمعون .

وهل من دليل لتأييد الحلفاء في حربهم الضروس ضد النازية انصع من الدليل العملي الذي ابداه العالم الاسلامي وما فتىء يبديه من ضروب الولاء والتضحية بالنفس ?...

ان في الجبهة الغربية اليوم ٣٠٠ الف مسلم (هندي وعربي) يكافحون النازية مع الجنود الانكليز والفرنسيين والبولونيين والتشيك جنباً الى جنب . وفي الهند وبلاد العرب وآسيا الوسطى وافريقيا الشمالية عشرات الملايين من

المسلمين على قدم الأهبة تلبية نداء الانسانية المتصلّبة . فالمسلم الذي يحارب النازية في الجبهة الغربية انما يحاربها دفاعاً عن عقيدته ووطنه ، فهو يعلم حق العلم ان انتصار النازية ، لا سمح الله ، كارثة كبرى للشرق وللعالم الاسلامي بأسره ، فضلاً عن الشعوب المتحاربة .

وليست الحرب الحاضرة حرباً فكرية بين الطغيان والحرية فحسب، بل هي حرب مصالح سياسية واقتصادية ايضاً . فالشعوب التي تحارب الدنيا المختارية اليوم تحارب من اجل استقلال بلادها وفي سبيل حريتها السياسية والاقتصادية .

ونحن المسلمين نؤيد الحلفاء قولاً وعملاً ، لان لنا في ذلك مصالح سياسية واقتصادية كما للحلفاء . ان اغلبيتنا الساحقة تعيش في كنف امبراطوريتين ديمقراطيتين ، امبراطوريتي بريطانيا العظمى وفرنسا الجمهورية . ونحن شعوب تطمح الى مثل عليا في الحياة، تطمح الى حياة الحرية والاستقلال، فتأييدنا للحلفاء يجب ان يقابل بالمثل . اننا جنود الحرية في كل وقت وساعة، على ان نلمس لمس اليد اننا نضحي بحياتنا لا لرد الأذى عن بولونيا أو نروج فقط ، بل لكي نتمتع بدورنا بالسيادة الوطنية وبالتقدم القومي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي .

فالمشكلة الوطنية في هذه الحرب هي محور المشاكل : شعوب اعتدي عليها وهي تناضل لاستعادة سلطانها ومجدها ، وشعوب تؤيد الحلفاء على أمل ان يتسع نطاق استقلالها الوطني وترتقي بسرعة نحو الامم الراقية . وافضل نظام يحل المشاكل القومية هو النظام الحر المعبر عنه بالانكليزية : Common- wealth of Free Nations ، وأهم شروطه ان لا تكون هناك أمة تملك

بخنق غيرها من الامم ، ففي هذه الحرية تنقلب الآية ويتحول الاتحاد الاختياري الى ضم اجباري .

قال الرئيس لنكولن محرر العبيد في الولايات المتحدة : « إن البيض اذا سيطروا على انفسهم فقط فهم احرار ، ولكن اذا سيطروا على انفسهم وعلى غيرهم فهم طغاة ! » . وقال احد فلاسفة الغرب : « ان الشعب الذي يتحكم برقاب غيره هو شعب لا يفقه معنى الحرية » .

فالنازية طاغية لأنها تضم الشعوب الى «امبراطوريتها» في جو من الارهاب المريع ... وتذهب الى ابعد من ذلك فتعمل على سحق هذه الشعوب .

إن زمننا هذا يتطلب من كل شعب ضعيف ان يكون له دولة ديمقراطية حامية والا حكم عليه بالهلاك المحتم . وان درجة استقلال هذا الشعب ملازمة للتطورات التي تحدث في الدولة الحامية . اي ان الاستقلال الصحيح لا يأتي اليوم عن طريق « الدبلوماسية الحميدية » ، وتوزيع الابتسامات بين الحلفاء والاعداء ، بل عن طريق تقرير المصير المشترك .

اننا لا نتعامى عن القوى العمرانية العظيمة التي تحوزها كل من انكلترا وفرنسا ، فلو اتيح لشعوبنا ان تتمتع بجزء من هذه القوى لكنا اليوم راتعين في بحبوحة من رغد العيش .

الشرق بحاجة الى الآلات الصناعية ، فلِمَ لا تمده انكلترا وفرنسا بها ورائدهما تشجيع تقدمه الانتاجي ؟.. الشرق بحاجة الى طرق ري حديثة ، ووسائل فلاحة عصرية ، حتى يتمكن من مضاعفة حاصلاته الزراعية ، فلِمَ لا تمد اليه الدوائر الزراعية في انكلترا وفرنسا يد المعونة المخلصة ؟..

الشرق بحاجة الى رجال اختصاص وعلم وادب وفن ، فلِمَ لا يساعده

الحلفاء على تكوين ذلك « الكادر » من ابنائه ؟ . . .

الشرق بحاجة الى ثقافة عليا ، الى مدنية سامية ، الى مساهمة اوربا بالنعم الروحية التي تتمتع بها ، فلمَ تتركه الديمقراطيتان يتخبط في ظلام دامس ولا تأخذان بيده ؟ . . .

لقد ارتبط الشرق بالشعبين الانكليزي والفرنسي بروابط متينة يرجع عهد بعضها الى ثلاثة قرون والبعض الآخر الى قرن،او خمسين سنة،او عشرين سنة . . وظهر في هذا الشرق خلال تلك الأحقاب جيل جديد يتحرق شوقاً الى الاستقلال الوطني والحرية القومية ، غير انه لا يخفي في الوقت ذاته تعلقه بالانكليز والفرنسيين الناجم عن ممارسة الاعمال المشتركة ، وعن التفاهم الفكري المتبادل ، وعن تشابك المصالح المادية من فردية وعامة .

فالشرق الحديث لا يعير اذناً صاغية للمثل القديم القائل : « من يتزوج امي فهو عمي » أي انه تحرر من روح الخنوع والعبودية فلا يقف مكتوف اليدين حيال تقرير مصيره القومي .

يهم الشرق اليوم كثيراً ان يعرف مع من يربط مصيره ؟ . . . والى اين يسير ؟ . . .

انه يطمح الى الحياة حرة كما تطمح اليها الشعوب الراقية،ويشعر بضرورة ملحة الى تغيير حالته ، وينفر من العودة الى نظام ما قبل الحرب واخطائه . انه يحارب مع الحلفاء ، وكله أمل بأن هذه الحرب ستنجز، ذلك التغيير ، ذلك التجدد والانتقال من حسن الى احسن .

ألم يقل السيد انطوني إيدن : « ان الحلفاء لا يحاربون المحافظة على الحالة الأوربية الراهنة بل لخلق عالم جديد»؟ . . وهل يجوز ان يستثنى الشرق من العالم

الجديد ؟.. هل يجوز ان يستثنى الشرق او تلك البشرية من التمتع بشروط حياة جديدة ساهم في دفع ثمنها دماً ؟..

لقد اذاع المستر مالكولم مكدونالد، سكرتير الدولة للمستعمرات، في الراديو خطاباً على غاية الاهمية، وها نحن نترجم بعض ما جاء فيه : (*)

قال الوزير — « .. لقد هبت شعوب المستعمرات تشاطرنا اهوال الحرب ومصائرها، وهو عمل تحمد عليه. ان تلك الشعوب لا تتمتع بالحكم الذاتي بل تذعن لحكمنا، فهي والحالة هذه لا تؤاخذ اذا جنحت عن القتال، لكنها لم تفعل بل ايدتنا وكان ذلك منها اعترافاً غريزياً بأننا ابطال حرية الشعوب الضعيفة.

« ان الهدف الذي نرمي اليه في مستعمراتنا هو ان نأخذ بيدها كي تتمكن من الوقوف على اقدامها، وتسير في مضمار التقدم والحرية.

« اجل، اننا امناء على رفاهية تلك الشعوب، فأنتم وأنا نتحمل تبعة حكمها. ويقيني ان هناك مبدأين ينبغي لنا ان نتبعهما في الشرق وهما : اولاً — تشجيع كل ما هو حسن وباستطاعته ان يجعل شعوب الامبراطورية تساهم مساهمة فعلية في الاعمال العمرانية. ثانياً — تعميم افضل ما انتجته مدنيتنا الغربية من فكر وعمل حتى تصير حياة شعوب الامبراطورية اكثر رغداً وحبوراً.

« ليس من ريب بان مستعمراتنا اصيبت في الآونة الاخيرة بأزمة زراعية فتأثرت ماليتها واصبحت تشعر بالحاجة الماسة الى المعونة المالية من الخارج، وهذا ما دعانا الى ان نهتم بمضاعفة مالية « صندوق تقدم المستعمرات »

* Helping the Colonies, A Broadcost talk by the Rt. Hon. Malcolm MacDonald. (Secretary of State for the Colonies)

(Colonial Development fund) فيمــد ان كانت مليون ليرة انكيزية في السنة رفعناها الى خمسة ملايين ونصف مليون . واذا تأكد لنا ان هذه القيمة لا تفي بالمطلوب فسنطرح في مجلس العموم اقتراحاً بطلب المزيد .

« الأقترض نظام المستعمرات حتى اليوم بجعل كل مستعمرة « وحدة مالية ذاتية » ، اي ان يتدبر شعب تلك المستعمرة ، لا فرق ان كان غنياً او فقيراً ، موارده الخاصة . اما الآن فقــد اضحى هذا النظام عقيماً يجب الغاؤه ومــد مستعمراتنا بمساعدة مالية مستمرة .

« اننا نقول بفخر واعجاب ان سياستنا الحكيمة أسفرت عن ارتقاء خمس مستعمرات الى مستوى الامم ، وان ممالك « الدومينيون » تدبر ذاتها بذاتها ، واصبحت الامبراطورية بذلك « جمهورية الامم الحرة »

« اما اليوم فقد حصرنا همنا بشعوب المستعمرات المتــأخرة . فلنكرس قوانا ، واختباراتنا ، وحكمتنا ، لتحقيق : السعادة ، والرفاهية ، والحرية لستين مليوناً من رعايا الامبراطورية البريطانية »اهـ . . .

هذه وثيقة تاريخية عظيمة ، وهي بنظري افضل من ستين وعداً خطياً بالاستقلال الناجز بعد الحرب . اقول ذلك لانها وثيقة عملية بسري مفعولها اليوم وفي هذه الساعة ، فشعوب الشرق تريد الآن ان تتحسس بتحسن مادي في جو مشبع بالحرية المتزايدة . . . ان الحنان وحده غير مجد ولا يوطد العلاقات بين الشعوب ، ومثله مثل البط الذي يحن على صغاره دون رضاعة ! . . .

يقول المثل : « عند الشدائد تتصافى القلوب » ، ونحن ابنــاء الشرق تعرونا الآلام وتتفطر قلوبنا اسى كلما سمعنا بالفواجع التي ينزلها الطغاة بآلاف الانفس البريئة .

ان هذه الحرب المشؤومة ، التي نشأت عن طموح الاستعمار الالماني الى السيطرة على العالم ، غيرت افكار المسلمين وحولت شعورهم فهم يرون اليوم انهم بأنف نعمة بالنسبة الى بولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، او المانيا نفسها!.. بالرغم من كل الاخطاء التي ارتكبت في الماضي ... فالوطنية في شرقنا لا يعاقب عليها بل تترك تسير في مجراها الطبيعي ، في حين ان الوطنية عند هتلر عقابها العذاب الوحشي في المعتقلات ، ثم الموت الزؤام ، ثم استخراج الدماء من الجثث !...

ان بين الشرق والهتلرية عداء متأصلاً في النفوس اوجده هتلر بتحدثه عن الشرق والشرقيين . كتب « الفوهرر » في (كفاحه) في الفصل الرابع عشر « السياسة في الشرق » في الصفحات ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ ما يلي :

« حول الحزب النازي في سنتي ١٩٢٠–١٩٢١ الاتصال بالحركات التحررية الشرقية بواسطة اعضاء « جمعية الشعوب المضطهدة » المؤلفة بأكثريتها من الهنود والمصريين المشهورين بالثرثرة والتطفل .

« ومما يؤسف له ان بعض الوطنيين الالمان أخذوا بأقوال هؤلاء المتقعين الشرقيين وصاروا يرون في كل تلميذ مصري او هنـدي « المثل » العبقري لبلاده ، ولم يفقهوا ان هؤلاء الشرقيين لا نفوذ لهم وليسوا بأهل لان يعقـد معهم أي اتفاق .

« فالعمل مع هؤلاء الناس المتصفين بكل ما ذكر ضرب من اضاعة الوقت .

« انني اذكر الآمال الصبيانية التي عقدها الوطنيون الالمان في سنتي ١٩٢٠–١٩٢١ على انهيار السيادة البريطانية في الهنـد ، وكل ما في الامر ان بعض المحتالين الآسيويين كانوا يجوبون اوربا لاقناع مفكري الغرب بـأن

الامبراطورية البريطانية أمست على حافة الهوة . وقد سها بال هؤلاء الشرقيين عن ان احلام اسلافهم لن تحقق .

« ومن الجهل بمكان ان نتصور الانكليز بلهــاً لا يقدرون أهمية الهند لامبراطوريتهم ، فالحرب الماضية لقنتنا درساً قاسياً في فهم الطبــاع الانكلوسكسونية .

« لا تتخلى انكلترا عن الهند الا في حالتين : اولاً — اذا تمكنت الاجناس الهندية المختلفة من الاتحاد بالبريطانيين في ادارة شؤون البلاد ! . . ثانياً — اذا استطاعت دولة اجنبية قوية ان تستولي على الهند .

« اما نحن الالمان فقــد عرفنا بالاختبار ان من الصعب الضغط على اليد الانكليزية . وانني كألماني أقول: إنني افضل ان ارى الهند خاضعة للحكم البريطاني على ان ارى أمة اخرى تسيطر على مقاديرها (كذا !) .

« وانني كوطني الماني ينظر الى الانسانية من ناحية المبدأ العرقي ، لا اقر ان ترتبط مصائرنا بمصائر الشعوب المنحطة المسماة « الشعوب المضطهدة ».

فاقوال هتلر هذه التي ضرب عنها مترجمو « كفاحي » من العرب صفحاً ، تدل دلالة واضحة على ما يكنه هذا المسخ الالماني من العداء للهنود والمصريين والشرقيين على الجملة .

انه يحتقرهم ، ويستصغرهم ، ويشتمهم ، فيلقبهم تارة بالطفيليين ، وطوراً بالمتسقين ، وحيناً بالمحتالين ، ثم انه يأنف من مخالطتهم لانهم « من الشعوب المنحطة » ويحمل على كل تعاون فيما بينهم وبين الدول التي تحميهم ، ويبلغ به الهذيان الى القول ان اشراك الهنود في ادارة شؤون البلاد يؤدي الى انهيار السيادة البريطانية . والغاية من هذا الدسّ واضحة : فهتلر يريد تطبيق مبدأ

العنصرية في بلاد ثم يحكمها الكبي تتوتر العلاقات بين شعوب الامبراطورية البريطانية والمملكة المتحدة ويتحول الخلاف الى اصطدامات دامية تنتهي ، حسب برنامج هتلر الحقيقي ، برفع لواء « الصليب المعقوف » محل لواء الأنيون جاك ! . . .

وهكذا بينا هتلر يصف الشرقيين بأنكر الأوصاف ، ويقول عنهم انهم لا في العير ولا في النفير ، وغير اهل للاستقلال ، نراه اليوم يوعز لاذنابه وجواسيسه بحث الشرق على الانتقاض مؤكداً للشرقيين ان لا مطمع له في بلادهم ، وكل همه رؤية الشعوب الملونة تعيش وحدها مستقلة عن انكلترا وفرنسا ! . . .

وبعد هــذا التبشير الانساني الكاذب يقول هتلر في المادة الثالثة من برنامج الحزب النازي : اننا نريد الاستيلاء على المستعمرات الخ . . .

هي لعبة مفضوحة يلعبها هتلر مع جواسيسه في الشرق . ونحن مع حبنا لبلادنا ورغبتنا القصوى بالتعاون الشريف مع الانكليز والفرنسيس للوصول الى الاستقلال المنشود ، لا نرضى بأن نرى بلادنا هذه مختبراً لمتوهمي المانيا وغيرها يطبقون فيها انظمة سداها الاجرام ولحمتها الهمجية .

ان الشرقيين والمسلمين قاطبة يسندون قضية الديمقراطية قولا وعملا لا مجاملة للحلفاء ، ولا خوفاً منهم ، كما يصور ذلك جواسيس هتلر ، بل لان الديمقراطية هي قضيــة حيوية لهم ، ولان حرية الشعوب ضمن نطاق من التعاون الأخوي هي مثلهم الأعلى الذي كافحوا في سبيله طويلا .

ان المسلمين المتمسكين برسالة الاسلام الانسانية لا يتوانون خطة واحدة

عن القيام بواجباتهم التاريخية في تشتيت شمل قافلة الاستبداد والوثنية التي تجتاح الكرة الارضية ·

وهم يفعلون ذلك لأنهم اتبع من قال عن نفسه : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »، ولأنهم يفضلون حكم الاحرار المقرون بالأمل الحي على الخضوع لعبودية العبيد المقرون باليأس المميت ·

انتهى ...

ملحق

مذكرة الوفد المصرى

حول مذكرة الوفد المصري

ما هذه الحركة التي تجري اليوم في مصر ؟.. وهل هي وليدة الصدف ام ان لها علاقة بتوتر الحال في حوض البحر الابيض المتوسط ؟...

نشرت «الاهرام» بتاريخ ١/٥/٩٤٠ الجواب البريطاني على مذكرة الوفد المصري ، وهو جواب خطير الشأن ، يدعو كل من فيه ذرة من الوطنية الصادقة ان يدرسه درساً عميقاً ، ويسبر غور معانيه ، ويستخلص منه النتائج والعبر .

جاء في جواب اللورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية ما يلي :

« ١) ابلغوا النحاس باشا في الحال ان الحركة التي قام بها ونشرت على الناس فعلا قد احدثت لدى الحكومة البريطانية شعوراً أليما للغاية ، ولا تستطيع الحكومة البريطانية الا اعتبار قرارات الوفد كمحاولة مقصودة للعب دور في السياسة الداخلية في حين ان بريطانيا العظمى مشتبكة في صراع ليس اثره على

مصير مصر واستقلالها بأقل منه على بريطانيا العظمى نفسها .

٢) اما في ما يختص بالمسائل التي اثارها النحاس باشا فمن البديهي انها تؤدي الى :

آ) اعادة النظر في المعاهدة البريطانية المصرية. ب ـ تدخل من جانبنا في السياسة الداخلية المصرية . جـ ـ الطعن في ما نستخدمه من وسائل الضغط الاقتصادي في الحرب مع المانيا .

٣) لما كانت نتيجة الحرب ذات اثر فعال بالنسبة لمصر « ومن الجلي بلا شك للنحاس باشا انه لو انتصر العدو لم يبق الا قليل احتمال في مناقشة مستقبل مصر ضمن حدود ديمقراطية» فان الحكومة البريطانية موقنة بأن المسؤولين عن مصير الشعب المصري ، ومنهم النحاس باشا ، سيواجهون المسؤوليات التي تجابههم في ساعة خطيرة من تاريخ العالم .

٤) اننا نحارب لسلامة الامم الصغيرة واحترام العهد المقطوع «فقولوا للنحاس باشا ـ واناا احد الموقعين على المعاهدة ـ يبدو لي انه غير مفهوم ان يشعر النحاس باشا الناس بانه يريد التشكيك في ما للمعاهدة من صفة قطعية ورسمية . وانه ليسعدني ان اتأكد ان النحاس باشا سيعمل جهد طاقته لتخفيف

اثر هذه الحركة التي لم تقترن بالسداد »

***

وهنا يتساءل القارىء : ما الذي طلبه الوفد المصري من الانكليز في هذه الايام حتى يتلقى جواباً شديداً كهذا ؟.. صرح الوفد المصري امام الحكومة الانكليزية مطالب تقسم الى قسمين: ما يريد تحقيقه حالا ، وما يريد تحقيقه بعد الحرب .

مطالب الوفد العاجلة

اولاً — جلاء القوات البريطانية عن مصر ، بعد ان اسفر التعاون بين الجيشين البريطاني والمصري عن امكان احلال الجيش المصري محل القوة الصغيرة البريطانية .

ثانياً — الغاء الاحكام العرفية وترك الشعب المصري يصفي حسابه مع الحكومة المصرية .

ثالثاً — السماح لمصر بأن تبيع حاصلاتها الزراعية لأي قطر كان ، محارب او محايد .

مطالب الوفد المؤجلة

اولاً — دعوة مصر رسمياً الى الاشتراك في مؤتمر الصلح المقبل .

ثانياً — الاعتراف بحقوق مصر كاملة في السودان .

اما هذه المطالب ، من حيث الاستقلال المصري والمصلحة القومية المصرية ، فهي بلا جدل مطالب صادقة وحرية بالتحقيق ، غير ان تحريكها الآن ، تشبهاً بارلندا سنة ١٩١٦ ، لا يدل على مهارة في الزعامة ، ولا على حنكة في تدبير شؤون البلاد ، بل على نزعة انتهازية تعرض الاستقلال المصري لأشد الاخطار .

يسهو اخواننا في مصر عن ان وضع بلادهم اليوم هو غيره في سني ١٩١٤ — ١٩١٨ . ففي تلك الايام كانت الحماية مفروضة على المصريين بالقوة ، وكانت تخول الجندي البريطاني اقصى حد من امتيازات التدخل في الشؤون المصرية ، اي ان مصر لم تكن لتختلف عن اية مستعمرة من مستعمرات التاج . فلما طالب المصريون بالغاء الحماية واعلان الدستور والحياة النيابية كان طلبهم معقولاً ومشروعاً وقابلاً للتحقيق ، ثم فازوا بامنيتهم ا...

اما اليوم فمصر تتمتع بنوع خاص من الاستقلال لا تحلم به اغلب بلدان الشرقين الادنى والاقصى ، ويقوم فيها مجلسا نواب وشيوخ ، ومجلس وزراء ، وجيش مصري ، وجهاز حكومي

مصري ، اي ان فيها اليوم « دولة مصرية » قائمة بذاتها تمنح الانكليز حق الافضلية في الاستشارة . والانكليز هناك ، باعتراف النحاس باشا ، قوة صغيرة بالنسبة الى الجيش المصري. وعلى سبيل المثال نقول ان الانظمة الاستقلالية التي « مل » الوفد المصري ممارستها في مصر هي عقدة العقد في الخلاف الهندي — الانكليزي . فغاندي الجبار ، ونهرو الداهية ، بل وزعماء المؤتمر الوطني الهندي المثقفون كافة ، يطرقون ابواب نائب الملك ليل نهار ، ويتبرمون من السلطات الانكليزية مهددين بالعصيان المدني من اجل... ، من اجل وزارة هندية ، ومجلس نواب هندي ، ودستور متواضع !

فطلب جلاء القوى الانكليزية عن الاراضي المصرية إبان اقسى حرب عرفها التاريخ ، حرب لا يقتصر امرها على تقرير مصير الشعوب الضعيفة انما يتوقف عليها بقاء تلك الشعوب على قيد الحياة او عدمه — هو طلب اخرق لا يقوم على اسس معقولة ، واقل ما يقال فيه انه مغامرة قومية لا تجد من يشجعها سوى دول « الاستعمار الفقير » كالالمان الرابضين في جبال نروج ، وكالطليان الرابضين في واحة جغبوب !..

ما لنا وللهذر ولنكن عمليين في حياتنا القومية. أتستطيع مصر ان تصمد في وجه العدو اكثر مما صمدت الحبشة والبانيا، او تشيكوسلوفاكيا وبولونيا ؟... أتستطيع ان تلزم الحياد وتتحاشى وقوع الكوارث في البحر المتوسط ؟..

فطلب الجلاء العاجل في وقت يمنع الانكليز فيه بواخرهم من التجوال في البحر المتوسط اما أن يكون نتيجة مؤامرة دولية في مصر، او ذيلًا من ذيول الضغائن الحزبية العمياء.

اما طلب الوفد حرية التجارة مع المحاربين والمحايدين سواء بسواء فهو طلب مستغرب جداً لم تقله الولايات المتحدة فكيف بمصر حليفة الحلفاء ؟..

بقيت مسألة دعوة مصر الى مؤتمر الصلح المقبل والمساهمة بالولائم والافراح، فاذا كانت هذه المسألة تهم الآن الوفد المصري كثيراً فليس على الانكليز بعسير ان يقولوا له: لك ما تريد!

نقول ذلك حباً بمصر ورأفة بالشرق كله. انه ليؤلمنا ان نرى مأساة اوربا الشرقية تمثل بين ظهرانينا.

فهل لزعماء مصر ان يلمسوا المسؤولية التاريخية التي تقع على عاتقهم اذا ما شطوا عن طريق الصواب ؟...

اسانيد الكتاب

لقد استعنت في وضـع هذا الكتاب بالمصادر العربية والاوربية التالية :

١) — «الاسلام روح المدنية» الشيخ مصطفى الغلاييني
٢) — «خاطرات جمال الدين الافغاني» محمد باشا المخزومي
٣) — «العروة الوثقى» مجلة اصدرها في باريس الحكيم جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده
٤) — «المسألة الشرقية» مصطفى كامل
٥) — «استعباد الاسلام» اوجين يونغ
٦) — «الاسلام والرد على منتقديه» الشيخ محمد عبده

1) L'infiltration Allemande au Maroc G. Soria
2) La Politique Islamique de l'Allemagne B. Vernier
3) Mein Kampf A. Hitler
4) Mythus des x x Iarhunderts A. Rosemberg

وقعت في الصفحات ٣٣ — ٣٤ الاخطاء التالية :

خطأ	صواب
humane	human
catagory	category
renonced	renounced
wich	which

فهرس الكتاب

الصفحة

ملحق